

الاخوان الجمهوريون

هؤلاء هم



الجزء
الأول

الطبعة الأولى - رمضان ١٣٩٨ أغسطس ١٩٧٨

هؤلاء هم
الأخوان المسلمون

الكتاب الأول

الإهداء :-

إنما يُهدى هذا الكتاب إلى
عامّة الناس !! ويوجه عام..
ولكنه ، إنما يُهدى بوجه خاص ،
إلى الاخوات المسلمين !! .

ويُهدى بوجه أخص إلى
قاعدة التنظيم من الشباب !!

تَبَيَّنوا أمركم ، فات هذه
الدعوة ، إنما هي فتنة !!
لا خير يرجى من ورائها !!
لا خير في شجرتها !!
ولا خير في ثمرتها !!
وأنتم لا تنجى من الشوك العنب !!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مَعْرِضِينَ ه فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .. »
صدق الله العظيم

المقدمة : يقدم هذا الكتاب دراسة نقدية لتنظيم
« الإخوان المسلمين » تناول، في بابها الأول، المقومات الفكرية لهذا التنظيم
موزونة بجهتان « التوحيد »، ومقاسة إلى حكم الوقت، ومراد الدين ..
وذلك باعتقاداً على أبرز أحوال مؤسس الدعوة : الشيخ حسن البنا،
ومفلسفها : الأستاذ سيد قطب، وذلك في الدلالة على هذه المقومات
الفكرية .. كما تناول، هذه الدراسة، في بابها الثاني، ممارسات هذا التنظيم
في مصر، موطنه الأول، وفي السودان، موطنه الثاني، وذلك من حيث أنه
تنظيم يستغل الدين، في الأغراض السياسية التي تستهدف الوصول إلى
السلطة، أو احتواءها ..

فليس هذا الكتاب بحثاً « أكاديمياً » يستقصى تاريخ هذا التنظيم،
ويرصد مواقفه، ويترجم لمؤسسيه ومفكريه، ويتناول سائر كتاباتهم -
شأن البحوث الأكاديمية في هذا المضمار ..

وتنظيم الإخوان المسلمين، من حيث الفكرة، إنما هو صورة للفهم الديني
الذي تقوم عليه، اليوم، سائر الدعوات الإسلامية : كالطائفية، والرهابية،
وسائر المؤسسات الدينية : كالأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، والجامعات
الإسلامية، وولايات الشريعة، ووزارات الشؤون الدينية .. وتلاميذ هذه
المؤسسات من الفقهاء، والقضاة الشرعيين، ومعلمي مناهج الدين ..

فنظم الأخوان المسلمون لا يختلف عنها الأمن حيث أنه ننظم له فعالية
الحركة « المنظمة » في السعي إلى إخراج السلطة لتطبيق فكرته .. ولذلك
قامت بين هذا التنظيم وهذه الدعوات، والمؤسسات الدينية علاقات
عضوية، لا تنافس إلا بين درجتى التعاطف، والشحاف - كما سنرى في هذا
الكتاب ..

ولذلك فإنا سنحاول في هذه المقدمة ذلك الفهم الدينى المشترك
بين الأخوان المسلمين وهذه الدعوات والمؤسسات الدينية، في ضوء الفهم
الصحيح للإسلام الذى تطرحه « الدعوة الإسلامية الجديدة »، وهى تقيم
عليه الحجة، وتقدم له السند من القرآن الكريم، والسنة النبوية ..

الشرعية ليست هى الدين !!

هذا الفهم الدينى الشائع الذى يمثل الأخوان المسلمون رأس السهم فيه
إنما يقوم على الدعوة إلى « تحكيم » الشريعة الإسلامية بكل مبررها، من
جديد، فى حياة الفرد، وفى حياة الجماعة، اليوم .. وهذا الفهم إنما يؤفره
الفهم الدقيق لروح هذه الشريعة، ولروح هذا العصر .. فلى الفهم الدقيق
فإن هذه الشريعة ليست هى الدين !! وإنما هى المدخل على الدين - هى الطريق
القريب الذى تنزل من الدين، فى القرن السابع الميلادى، إلى أرض الناس
لينظم حياتهم وفق طافتهم وحاجتهم، البسيطين، الحدوديين، يومئذ ..
ولا يزال الدين أمامنا المستنيط منه شريعة جديدة تستوعب حاجة، وطاقة
الفرد، والجماعة، فى القرن العشرين الميلادى .. ولا يكاد المرء يحتاج إلى
التدليل على مبلغ ما تطور إليه الفرد، أو المجتمع، خلال القرون السالفة،
من نضج، واستواء، فذلك أمر جدد ظاهر ..

واستنباط هذه الشريعة الجديدة ليس نبوة جديدة، ولا وحيًا جديدًا،
فقد ختمت النبوة بهذا النص الصريح: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم،
ولكن رسول الله، وخاتم النبيين...» حتى لقد استقر جميع خبر السماء
بين دفتي المصحف... ولكن هذا لا يعنى، على الإطلاق، أنه ليس هناك
أمر في الدين مستأنف ننظره البشرية.. ذلك بأنه لا يد من فهم جديد
للقرآن، مؤدب بأدب القرآن، ومنهاج التعلم القرآني: «واتقوا الله،
ويعلمكم الله» - فهم جديد للنصوص القرآنية القديمة - فهم ينقذ إلى
أصول القرآن ليستنبط منها شريعة جديدة تنفوخ على حل مشكلات
الحياة المعاصرة.. وفيما يلي صورة لهذا الفهم.

لقد ظل القرآن الكريم يخاطب الناس، طوال العهد المكي، على أساس
أنهم أحرار، ومستولون عن حق الحرية، ويمنع كل عبور الوصاية عليهم..
وذلك بمثل قوله: «فذكر! إنما أنت مذكر» لست عليهم بمسيطر!..
وقوله: «وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر!..
إلى غير ذلك من الآيات المكية التي ترسي الحقوق الأساسية للبشر.. و
جماعها حق الحياة، وحق الحرية.. فتسوى بينهم في الحقوق وفي الواجبات،
بلا تمييز بنسب العنصر، أو العقيدة، أو الجنس (الذكورة والأنوثة)..
وهذه الحقوق الأساسية إنما هي أصل أصول الدين، وجماع أغراضه، على
الإطلاق، لأنها إنما تقرر الكرامة البشرية التي أناز بها البشر على
سائر أنواع الخليقة.. والأصل في الإسلام أن الإنسان حر.. فإذا
أحسن التصرف في هذه الحرية، لم يكن عليه من سبيل: «ما على الحسين
من سبيل»، وإذا أساء التصرف في هذه الحرية، بأن أظهر قصوره
عن أداء واجبيها، (إذ لكل حق واجب يقابله) صودرت منه: «جزاء»

وفاقاً»، مصادرة مؤقته، فيها ينال حسن التصرف في حق الحرية، في مستأنف تجربته، فيسترد هذا الحق كاملاً..

ولقد عبر المجتمع الجاهلي عن رفضه للدعوة الإسلامية، التي تدعوه إلى عقيدة التوحيد، وبند عقيدة التعدد، بشتى صور الرفض، حتى لقد بلغ حدّ التآمر على حياة صاحب هذه الدعوة!! فظهر، بذلك، ظهور التجربة التي تقسام عليها الحجة: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل».. إن الفرد البشري، في عمومته، يؤمّد، قد كان قاصراً عن النهوض بواجب المسؤولية الكاملة عن حق الحرية، وكذلك فرضت عليه شريعة الوصاية الرشيدة، وذلك عقب الهجوة، من مكة إلى المدينة، حيث نزلت آيات القرآت المدني، ناسخة لآيات القرآن المكي، في مستوى التشريع العام. فنسخت آية السيف وأخواتها آيات الإسماع والحرية، ونسخت آية الشورى آيات الديمقراطية، ونسخت آيات الرأسمالية آيات الاشتراكية، ونسخت آيات هيمنة الرجال على النساء، آيات المساواة بين الرجال والنساء. وهكذا أدّيل التشريع، في أسلوب الدعوة، وفي نظام الحكم، وفي نظام الاقتصاد، وفي نظام الاجتماع، من مستوى الحرية إلى مستوى الوصاية.. «وسنناقش تفصيل ذلك عند حديثنا عن الجهاد، وعن الديمقراطية، وعن الاشتراكية، وعن حقوق المرأة في متن هذا الكتاب» - فقامت الشريعة الموروثة بين أيدينا اليوم، على مستوى الوصاية ناسخة لمستوى الحرية.. فقامت بذلك، على فروع القرآن ناسخة لأصوله..

الشريعة ليست هي السنة!!

ولقد نسخت آيات الوصاية آيات الحرية، كتشريع عام للأمة،

وذلك على حسب طاقتها وحاجتها، يومئذ، بينما ظلت آيات الحرية هذه
 هي عمدة عمل النبي، صلى الله عليه وسلم، في خاصة نفسه، وذلك
 تشريعاً فردياً له فيما يطيق هو ويحتاج.. فهو، وحده، الذي كان،
 يومئذ، في ذلك المجتمع القاصر، مسئولاً مسئولية كاملة، وحرّاً حرية
 فردية كاملة.. فكان عمله في المال، مثلاً، الزكاة الكبرى - إنفاق العفو
 وهي الركن الثماني الأصلي، والذي لم يُنزل منه إلى الركن الثماني
 الفرعي - الزكاة ذات المقادير - إلا بسبب حكم الوقت.. (وستناول
 ذلك بتفصيل أكثر عند حديثنا عن الاشتراكية في هذا الكتاب) -
 وكانت صلاة الثلث الأخير من الليل قرصاً مكثوباً عليه، بينما لم
 تكن في حق الأمة إلا من قبيل الندب والتطوع.. هذان مثالان
 للتفريق بين السنة والشرعية، فإن ما عليه الفهم الديني السائد
 اليوم، أن السنة والشرعية، هما شيئان شيئاً واحداً!! وهو فهم
 قد آن الأوان لتصحيحه.. ذلك بأن الوقت الحاضر إنما هو وقت
 إحياء السنة، وذلك لحاجة البشرية الماسة إلى بعث الإسلام، وبعث
 الإسلام، جاءت به البشارة النبوية هكذا: «بدأ الإسلام غريباً،
 وسيعود غريباً، كما بدأ، فطوبى للغرباء!! قالوا: من الغرباء يا رسول
 الله؟؟ قال: الذين يحبون سنتي بعد اندثارها!!» وإحياء السنة
 إنما يجب أن يقوم على فهم صحيح للسنة.. فالسنة إنما هي عمل النبي
 الكريم في خاصة نفسه، وما يتعلق بهذا العمل من قول.. أما قوله وإقراره
 اللذان أراد بهما إلى التشريع والتعليم للناس في ذلك القرن، في مستوى
 ما يطيقون وما يحتاجون، فلا يلحق بسنته.. وإنما هما يلحقان
 بالشرعية..

تطوير التشريع الإسلامي :

التفريق بين الدين

والشريعة ، أو بين السنة والشريعة ، إنما يطرح مسألة تطوير التشريع الإسلامي ، تواءمًا وبالبحاح !! فليبحث ، ولتحكيم الإسلام في حياتنا ، من جديد ، لا بد من تطوير التشريع الإسلامي !! وهذا التطوير ليس خروجاً عن القرآن الكريم ، وليس تطويراً متعسفاً لنصوصه لفئاس الحياة المعاصرة !! كلا !! إنما هو انتقال من نص إلى نص في القرآن .. انتقال من نص فرعي إلى نص أصلي فيه ، فهو ، بذلك ، دخول في الدين أكثر ، واستلهاً لأغراضه أكثر .. ذلك أن النص الفرعي ما نزل من النص الأصلي ، فتسخه ، إلّا حكم الوقت .. واليوم ، فإننا ، إنما نرجع بتشريعاتنا من النص الفرعي إلى النص الأصلي ليسجحه ، بسبب من حكم الوقت ، أيضاً .. فالوقت وقت الحرية ، لا وقت الوصاية .. هو وقت الحرية السياسية ، المتمثلة في الديمقراطية ، ووقت الحرية الاقتصادية ، المتمثلة في الاشتراكية ، ووقت الحرية الاجتماعية ، المتمثلة في المساواة بين الناس ، وعدم التفريق بينهم بسبب الذكورة والأنوثة ، أو بسبب الدين ، أو بسبب عدم الدين !! فتطوير التشريع الإسلامي ، بذلك ، إنما هو انتقال من العمل بالشريعة إلى العمل بالسنة .. هو اتجاه لجعل السنة ، وهي شريعة النبي الفردية ، شريعة جماعية ، لعامة الناس ، بقدر ما يطبقون منها ، وما يحتاجون ..

دعوة الأخوان المسلمين إلى تحكيم الشريعة

قال مؤسس هذه الدعوة ، ومرشدها الأول ، الشيخ حسن

البنا، في مجموعة رسائله، وتحت عنوان: «أصلحوا القانون»: «
 إن لكل أمة قانوناً يتحاكم إليه أبنائها، وهذا القانون يجب
 أن يكون مستمداً من أحكام الشريعة الإسلامية، مأخوذاً عن القرآن
 الكريم، متفقاً مع أصول الفقه الإسلامي»!! ص ٤٨. وهذه العبارات
 لا تحمل تفريقاً دقيقاً بين الشريعة والقرآن، من حيث أن الشريعة
 إما كانت تمثل فروعها، بينما لا تزال أصوله تنتظر التطبيق - حيث
 ستقوم عليها شريعة جديدة، ولقد بينّا نحن الفرق بين الشريعة
 والدين.. كما لا تحمل عبارات الشيخ البنا تفريقاً دقيقاً بين الشريعة
 والفقه - حيث أن الفقه إنما هو القول بالرأى فيما ليس فيه نص
 شرعي - ولقد نشأ الفقه على أيدي من أصحوا يُعرفون بالفقهاء،
 وأظهروا أصحاب المذاهب.. ولقد أخذ هؤلاء يعملون الرأى
 فيستنبطون، ويقيسون، ويجتهدون حتى تداعى بهم الرأى إلى
 البعد عن روح الشريعة وروح الدين، ولم يسبقوا إلا عن هذه المثلث
 والحواشي والشروح، والمطولات والفروض، التي حَجَرَت الدين،
 وبعثت به عن يساهلته ونقاؤه، وزهدت الشباب المعاصرين،
 وصرفته عنه.. والاعوان المسلمون، بذلك، إنما يدعون إلى
 تحكم الشريعة الموروثة في هذا العصر الذي استعدت فيه البشرية
 ليشترع لها في مستوى أصول القرآن، والسنة النبوية، تشريعاً
 إسلامياً جديداً يستوعب طاقاتها، ويلبّي حاجاتها، بعد أن
 أدّت بعض مبرر هذه الشريعة الموروثة دورها كاملاً في خدمة
 هذه البشرية - أدّت حتى استنفدت..!! إن العيب ليس هو
 عيب هذه الشريعة، وإنما هو عيب العقول التي تريد أن تثقلها،

بجميع صورها، لوقت غير وقتها، ولأمة غير أمتها ..
قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَفَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ .. فإذا جاء الوقت لا تباع
أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، وهو آيات الأصول التي قامت عليها
السنة، وذلك بأن نجعل السنة، وهي شريعة النبي الفردية، شريعة
عامة لكل الناس، ونسحق ما هو دونها، وهو آيات الفروع التي قامت
عليها الشريعة، فإن الدعوة إلى تحكم هذه الفروع، في هذا الوقت
- الدعوة إلى تحكم الشريعة الموروثة، من غير تطوير، إنما هي دعوة
معوقة لبعث الإسلام، ولإحياء السنة !! ونحن لا نرى إلا أن
دعوة الإخوان المسلمين كذلك !! أكثر من ذلك !! فإن ضررها
أكبر من ضرر المؤسسات الدينية، والدعوات الإسلامية
الأخرى !! ذلك لأنها إنما تأخذ شكل العمل التنظيمي المؤثر،
وتعمل بأسلوب العنف، والإرهاب، والإثارة، وتسعى لقرض
أفكارها، إلى السلطة بكل سبيل .. ولذلك فإن هذه الدعوة، إنما
تجسد أسوأ تناقضات ذلك الفهم الديني السلفي، مع الشريعة،
ومع العصر - كما سنبين في هذا الكتاب ..

إن هذا الكتاب إنما يستهدف تحديد هذه التناقضات
وهذه المفارقات، التي يتورط فيها الإخوان المسلمون، وذلك
عن رغبة صادقة، منا، في درء خطرهم على الناس، وفي استنقاذهم،
هم، أنفسهم !! ولذلك فإن أشخاص مرشديهم، وزعمائهم،
الأجلاء منهم والأموات، إنما هي موضع احترامنا وحبنا !! ثم
إننا لتستهدف، فوق ذلك، تهديد الطريق أمام البعث الإسلامي

المصحح الذي نعيش اليوم، إرهاباته المباركة، وفجره المبادق ..
وسيصدر هذا الكتاب في جزئين : أولهما يحوى الباب الأول الذى
أشرنا إليه فى صدر هذه المقدمة ، والثانى يحوى الباب الثانى ..
والقول فى « تنظيم الإخوان المسلمين » ذرسة ، لأن المادة عنهم
كثيرة ، ولأن ممارساتهم مثيرة ، ولكننا رأينا أن نتناول جوهر
فكرتهم ، وطائفة من الممارسات التى فى مصر ، وفى السودان ،
وفىها أوردنا الكفاية .. وعلى الله قصد السبيل ..

الباب الأول

تنظيم الإخوان المسلمين فى مجال الفكرة

الفصل الأول

ضعف التوحيد لدى الإخوان المسلمين

إن مبلغ الأفكار من الصحة ، أو الخطأ ، إنما يلمس ، أول ما يلمس ،
فى مبلغ حظها من التوحيد .. فهى إنما توزن ، عند أهل التوحيد ، بميزان
التوحيد الدقيق ، الذى لا يضل ولا يجور .. فإن كانت ضئيفة التوحيد
كانت واهية الجذور ، قريبة الفروع ، بادية التخليط والنخب ، و
كذلك جاءت « فكرة » الإخوان المسلمين !! وسنأخذ الأستاذ سيد
قطب فى كتابه « معالم فى الطريق » نموذجاً لضعف التوحيد لدى هذه
الجماعة ، وهو من أكبر مفلسفيتها ، أن لم يكن أكبرهم على الإطلاق ،
وكتابه هذا أكثر المراجع تداولاً بين أفرادها ، وأعظمها أثراً فى رسم
تصورهم ..

قال في الباب الثاني من ذلك الكتاب: «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس، وعقائدهم، عاداتهم وثقافتهم، موارد ثقافتهم، وفنونهم، وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم.. حتى الكثير مما تحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتقليد إسلامياً.. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية». ثم جدد الاستاذ سيد قطب مهمة الأخوان المسلمين في نفس الباب حين قال: «إن مهمتنا الأولى هي تغيير هذا الواقع.. هي تغيير هذا الواقع الجاهل من أساسه، هذا الواقع الذي يصطدم اصطداماً أساسياً بالمنهج الإسلامي، وبالتصور الإسلامي».

- انتهى - الخطوط من تحت الكلمات من وضعنا،

هكذا رسم أحد كبار مفكرى الأخوان المسلمين تصورهم للجاهلية الراهنة، وهوانها: «الجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم»!! ومن هم هنا يبرز ضعف التوحيد في فكرة الأخوان المسلمين بمروراً تاماً!! صحيح أن البشرية المعاصرة إنما تعيش الجاهلية الثانية، وقد عاشت في القرن السابع الميلادى الجاهلية الأولى التي وجدها عليها الإسلام.. ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الجاهلية الثانية، إشارة لطيفة، حين قال: «ولا تترجن ترج الجاهلية الأولى!!».. ولكن ليس صحيحاً أن هذه الجاهلية الثانية «كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم».. إن التوحيد يقول بأن خط تطور الحياة البشرية، في مجموعها، إنما يسير، في مدى الأربعة عشر قرناً السالفة، أكثر من أى وقت مضى، صعباً إلى الكمال.. فقد قطعت البشرية شوطاً كبيراً، في طريق الرجعى إلى الله، نحو

تحقيق جماع أغراض الدين ، وهي كرامة الإنسان المتمثلة في حريته ، وذلك حين توافقت على الأعراف والقوانين التي تنجم إلى إقرار الحقوق الأساسية للإنسان .. وهذه الأعراف والقوانين ، وإن كانت قد نشأت خارج ظل الشريعة الإسلامية .. فإنها ليست باطلاً مطلقاً (غالباً المطلق لا يبدخ في الوجود) وهي إنما نشأت وفق الإرادة الإلهية التي تسيّر الحياة ، بحكمها ، وباطلها ، إلى رضاء الله العظيم .. وقد قلنا ، في مقدمة هذا الكتاب ، إن هذه الإرادة لا مكان للبطل المطلق فيها ، ومن ثم ، فهذه الأعراف والقوانين ليست باطلاً مطلقاً .. بل إن حقها لا يكر من باطلها .. ثم إنها تتخطى خطوات واسعات لتتقوى الأرض لاستقبال أصول القرآن الكريم التي عندها ، وحدها ، تتحقق الحقوق الأساسية الكاملة للإنسان .. والبعث الإسلامي ، اليوم ، إنما يجرى لتهديب هذه الأعراق ، والقوانين ، وللتسامي بها إلى أصول القرآن ، حيث يتخذها بمثابة البناء التحتي له ، عليها يقم بناءه الفوق .. فهو ، إذن ، لا يعمد إلى الغائتها ، من أساسها ، كما يرى الأستاذ سيد قطب ، حين قال ، عن مهمة الأخوان المسلمين : « لا هي تغيير هذا الواقع الجاهل من أساسه » .. ذلك بأن هذا الواقع ، برغم ما به من جاهلية ، ليس رجساً من عمل الشيطان !! وهو ليس ، كما يعمد الأستاذ سيد قطب ، حين قال : « من صنع هذه الجاهلية » !! وإنما هذا الواقع من صنع الإرادة الإلهية الهادية الحكيمة !! وما هي هذه الأعراف ، والقوانين ، والثقافات ، التي يرمع

الأستاذ سيد قطب أنها تشكل جاهلية كالجاهلية الأولى أو الظلم؟؟
 إن البشرية إما تسير، في تطورها، كما يسير الفرد البشري، على رجلين
 : رجل المادة، ورجل الروح - وهي، في كل حركة، من حركات تطورها، إنما
 تقدم إحدى الرجلين على الأخرى - فحينما تقدم رجل المادة على رجل
 الروح تسمى ذلك عهد « فترة » - وهي هي الجاهلية - وحينما تقدم
 رجل الروح على رجل المادة تسمى ذلك عهد « بعثة » - وهي هي عهد نبي
 الدين، وهي هي البعثة الإسلامية.. وقد قدمت البشرية، اليوم، ومنذ
 حين، في حركة من حركات سيرها، وتطورها، رجل المادة، وذلك لأنها
 تتمثل في هذه الحضارة المادية الآلية التي لم يسبق لها ضرب في تاريخ
 البشرية.. وهي، الآن، إنما تحتشد، وثأهب، لتقدم رجل الروح حتى
 تخطو خطوة في مجال البعثة الإسلامية ليس لها ضرب في تاريخها
 أيضاً !!

إن لهذه الجاهلية الراهنة سلبياتها ولها إيجابياتها، غير أن
 إيجابياتها أكثر، بما لا يقاس، من سلبياتها : فها هي حركة الشعب
 لتحرر من الاستعمار، ومن التفرقة العنصرية. تحقق رصيدها ثلاً
 من الانتصارات.. وها هي الشعوب تنوحي على ميثاق منظمة الأمم
 المتحدة الذي يرسى كثيراً من الحقوق الأساسية للإنسان،
 وتنضوي تحت لواء هذه المنظمة الدولية.. وها هو الرأي العام العالمي
 الذي يشجب العدوان، والاستغلال والتهميز، وأبسا ليد العنف، يأخذ
 في الثلور والبروز، فيخرج الإنسان، بذلك، من عهد الغابة حيث
 « الحق للقوة »، وحيث القوة الفاشمة تصنع الحق وفقاً، إلى
 عهد المدنية، حيث « القوة للحق »، وحيث يجتكم الناس إلى القانون

الدستوري، الذي للضعيف فيه حق مساوٍ لحق القوى .. هاهو العلم الحديث، والتكنولوجيا، توحدان هذا الكوكب، عن طريق وسائل الاتصال، والمواصلات، توحيدها جغرافياً يكاد أن يكون تاماً.. وينجزان في مجال المكنشقة والإختراع، الانجازات المذهلة التي تيسر الحياة البشرية وتقومنها.. وهاهي المرأة تخرج من عهد قصورها الطويل، لتميل إلى أقصى مراحل التعليم، ولتتسلم أرفع الوظائف التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، ولتبدع في شتى مجالات الابداع الفنى، والأدبى والفنى، وهى التى كانت فى الجاهلية الأولى إنما تؤاد حية مخافة الفقر، أو عار السبى! هاهو الجماعة البشرية تنطلق إلى العدالة الاجتماعية الشاملة المتمثلة فى الاشتراكية، والديمقراطية، والمساواة بين الناس، من حيث هم ناس.. وهاهو الفرد البشرى يتطلع إلى الحرية الفردية المطلقة، وهو يناضل ليخرج من وصاية كافة الأوصياء عليه، حتى يكون القانون الدستوري هو الوصى الوحيد على جميع الأفراد - رجالاً أكانوا أم نساء.. هاهى البشرية تبلغ فى ميادين الآداب والفنون والثقافات أرقى ما بلغته من الحيوية الفكرية، والشعورية، ومن رقى الذوق العام، ومن رهافة الحس، ومن إتساع المدارك..

إن هذا التراث البشرى برمته إنما موروث البعثة الإسلامى، و مادته الخام، يزره بميزان التوحيد الدقيق، فيطرح سلبياته، وينهى إيجابياته إلى حيث مراد الدين.. فإن كل ما وافق القطرة السليمة، وحقق أغراض الدين (وجماها تحقيق كرامة الإنسان) إنما هو من مضمين الإسلام، والإسلام به أولى.. حتى هذه الفلسفات (الجاهلية)، والإلحادية منها، كالماركسية، إنما يبعث الإسلام

ليصح أخطاءها ، ويتسامى بأوجه الصحة فيها .. ولذلك فإن اعتبار
الواقع الجاهل باطلاً مطلقاً يثبث تغييره من أساسه لأنها من نظرة
خاطئة توخيدياً .. ثم هي غير ممكنة عملياً !!

ومنطق التوحيد هذا لأنها مرده إلى الجهل بقانون حركة التطور ..
وهو قانون التوحيد الكلي الذي يوحد بين المناقضات .. فالإسلام
إنما هو منهج لتوحيد المناقضات ، ولإيجاد كل متسق من المظاهر
المختلفة في الوجود .. وفي غياب العلم بقانون التوحيد هذا يجرى مثل
قول الأستاذ سيد قطب عن «الواقع الجاهل» : «هذا الواقع
الذي يصطدم اصطداماً أساسياً بالمنهج الإسلامي ، وبالتصور
الإسلامي» !! ولذلك يرى الأستاذ سيد قطب : «تغير هذا الواقع
الجاهل من أساسه» .. فهو لا يرى إلا «إصطداماً أساسياً» ،
وصراعاً ، محتدماً ، لا يهدأ ، بين المناقضات !! وبذلك يُلغى
الأخوان المسلمون ، من حيث لا يشعرون ، مع الماركسيين ، اللقاء
تاماً !! فالديالكتيك الماركسي إنما هو صراع المناقضات القائمة على
إختلاف النوع .. ومن هنا يجرى عنصر العنف ، عند الماركسيين ، كما
يجرى عند الأخوان المسلمين لحسم الصراع ، والمناقض ، وذلك
في عهد خرجت فيه البشرية من عهد القابة إلى عهد المدنية ،
قدخلت بذلك قيمة جديدة للتغير ، غير قيمة العنف ، هي القيمة
الفكرية ، والخلقية ..

إن قيام دعوة الأخوان المسلمين على أسلوب العنف - كما
سنرى في أحد فصول هذا الكتاب ، إنما مرده ، أساساً ، إلى ضعف
التوحيد ، حيث يرى مفكرو الأخوان المسلمين أن جسم الصراع بين

المعتقد والأفكار سيظل في مستقبل البشرية، كما كان في ماضيها، قائماً أيضاً على عنصر العنق، من غير إعتبار للظروف المرحلية المتنوعة التي أملت الجهاد في الشريعة الإسلامية في الماضي، ومن غير إدراك لكون الطبيعة البشرية المسالمة هي الفطرة، وأن الطبيعة البشرية المحاربة إنما هي طبيعة عارضة، وهي مسخ للفطرة السليمة وهي أذن رهينة بملايسات التاريخ.. فالإنسان إنما من الله تعالى صدر، وإليه آيب، والله تعالى هو السلام..

والبشارات القرآنية، والبشارات النبوية، إنما تبشر بعروة الإسلام، من جديد، ليعقب هذه الجاهلية الثانية، فيرتفع إلى قمة جديدة لم يكن لها بها سابق عهد، فيها هو القرآن الكريم يقول: «فهم الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»، وكفى بالله شهيداً»، فظهر الإسلام على سائر الأديان، وعلى سائر الفلسفات، إنما هو أمر لا بد أن تستشرفه البشرية اليوم، طالما لم تنته هذه من قبل وقال النبي الكريم: «بدأ الإسلام غريباً، وسيكون غريباً، كما بدأ فطوح للغرباء!! قالوا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يحبون سنتي بعد إذ ثارها!!» فالإسلام، في بعثته الجديد، إنما يقوم على إحياء السنة، وذلك، كما أسلفنا، في مقدمة هذا الكتاب، بجعل هذه السنة، وهي شريعة فردية، تتعلق بعمل النبي في خاصة نفسه، شريعة عامة لكل الناس، في منهاجهم التقديري، وفي تنظيمهم الاجتماعي.. وليتم بعثت الإسلام، في هذا المستوى، الذي لم تنتهه البشرية من قبل،

لا بد أن يعقب جاهلية أرفع من الجاهلية الأولى التي أعقبها بعثة الأول.. ذلك بأن الجاهلية، في أي وقت، إنما هي الواقع الذي سببته البعثة الإسلامي على إيجابياته بناءه الفوق.. فعلى قدر درجة الجاهلية تقاس درجة البعثة الإسلامي الذي سببته، ولذلك فإن إعتبار الجاهلية المعاصرة « كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم »، كما ذهب إلى القول سيد قطب، إنما هو دلالة على قصور التصور الصحيح لصورة البعثة الإسلامي المرتقي.. وهذا القصور، كما بينا، إنما مرده إلى ضعف الفكرة التوحيدية..

الفصل الثاني

إنعدام المذهبية المتكاملة عند الأخوان المسلمين

ومن أبرز سمات دعوة الإخوان المسلمين إنعدام المذهبية المتكاملة التي تطرح محتوىً فكرياً تفصيلياً يعالج قضايا السياسة، والاقتصاد، والاجتماع.. هذا مع أن من أوجب واجبات الداعية الإسلامي، اليوم، أن يبرز امتياز الإسلام على كل فلسفة اجتماعية معاصرة، وعلى كل دين، في جميع قضايا الحياة العامة، بصورة علمية تقنع العقول الذكي.. لا سيما أن هذه الفلسفات إنما تطرح، اليوم، محتوياتها الفكرية التفصيلية حول هذه القضايا، وتنتجها إلى تطبيقها في واقع الحياة المعاش..

ومرد إنعدام المذهبية المتكاملة، عند الأخوان المسلمين إنما هو إلى القصور عن فهم حقائق الإسلام، وحقائق العصر..

مما جعلهم يبهشون تناقضاً شديداً بين الولاء للشرعية الموروثة التي لا يكون تطهيرها، وبين الاستجابة للحاجات الملحة، والطاقت الحائلة التي تنخر بها الحياة المعاصرة - فهم لم يستطيعوا أن يعيشوا هذه الشرعية في صدق، كما أنهم لم يستطيعوا أن يتفاعلوا مع روح العصر - ولذلك عمدوا إلى التعميم، وإلى التعمية وإلى التحوير، في كثير من آرائهم، لإخفاء ذلك القصور، وذلك التناقض.

ها هو هندأوى دوير، أحد كبار الأخوان المسلمين، بهر، يقول عن أساتذته الشيخ حسن البنا: «فكان رأيه أن محاولة صياغة رأي الإخوان في القضايا التفصيلية، وكيفية تطبيق الشريعة الإسلامية على حياة المجتمع المعاصر هي محاولة، ضررها أكثر من نفعها، فإذا كانت صياغة مثل هذه قادرة على مواجهة الخصوم السياسيين الذين أخذوا على الإخوان دائماً أنهم يطرحون شعارات عامة ولا يقدمون حلولاً تفصيلية للمشاكل، فإنها تفتح الباب في نفس الوقت لشقاق كبير بين المسلمين أنفسهم لشدة المذاهب والاجتهادات» - - كتاب «الأخوان المسلمون» لريتشارد سرب منشيل.

أما الأستاذ سيد قطب فيرى أن السؤال عن تفصيل دعوتهم إنما هو لأجراح دعايتها!! ويدعوهم إلى الارتفاع عن ذلك! يقول: «إن الجاهلية التي حولنا، كما أنها تقتنط على أعصاب بعض المخلصين من أصحاب الدعوة الإسلامية فتجعلهم يشعجولون بخطوات المنهج الإسلامي، هي كذلك تتعمد أحياناً أن تخرجهم، فنسألهم: أين تفصيلات نظامكم الذي تدعون إليه؟؟ ماذا

أعددتهم لتنفيذه من بحوث ودراسات، ومن فقهه مقنن على الأصول
الحدیثية؟» إلى أن يقول: «وهي سخرية هازلة يجب أن يرتفع عليها
كل ذی قلب یحس لهذا الدین بحرمة!!» (معالم فی الطریق) مینة
٥٨- طبعة دار دمشق

هكذا يرى مؤسس دعوة الأخوان المسلمين أن تقديم رأيهم
في «القضايا التفصيلية» وفي «كيفية تطبيق الشريعة الإسلامية
على المجتمع المعاصر» إنما هو «محاولة ضررها أكثر من نفعها!!»
أما إذا كان يرى صلاحية الشريعة الإسلامية الموروثة لحل مشكلات
الحياة المعاصرة، فلماذا يرى أن تقديم هذا الرأي بصورة مفصلة
«محاولة ضررها أكثر من نفعها» وهو مطالب بإقامة الحجة على
فضيلة هذه الشريعة على سائر الفلصفات المعاصرة، وعلى سائر
الأديان في تقديم الحلول المفصلة الميوية للمشكلات الماثلة؟ إلا
إذا كان يرى أن تقديم هذا الرأي المفصل قد يعرض هذه الشريعة
في صورة دون مستوى تطلعات وقدرات الحياة المعاصرة!!
والسبب الذي ساقه الشيخ البنا في أن محاولة تقديم
آرائهم التفصيلية حول القضايا المعاصرة إنما «هي محاولة
ضررها أكثر من نفعها» لأنها «تفتح الباب لشقاق كبير بين المسلمين»
وهو متعدد والمذاهب والاجتهادات.. هذا السبب ليس له أدنى حظ
من الإقناع، ذلك بأن الداعية الإسلامية الذي يثق في صحة دعوته
لا يخشى «تعدد المذاهب والاجتهادات» ومن ثم فهو لا يمكن أن
يعود إلى إخفاء الرأي التفصيلي لدعوته حول القضايا الحيوية التي
يمايشها الناس!! ثم إن من يريد أن يدعو الناس إلى واضحة من

أمر الدين، فيصدهم القتل، لأنها عليه أن يطرح الصورة المتكاملة
للدعوة في مواجهة « المذاهب » المتعددة !! ثم هو يدبر بينها وبين
هذه المذاهب الحوار الفكري الرشيد، المؤدب بأدب الدين، حتى يلتقي
الناس، في نهاية المطاف، حول المذهبية الصالحة، فتتم لهم بذلك
الوحدة الفكرية الشاملة.. فإن ذلك خير من إخفاء الحشويات
الثقافية للدعوات لثقاء « للشقاق » بين المذاهب بينهما الخلافات
الفكرية قائمة فيما بينها، فقلنا ..

ولماذا يعتبر سيد قطب أن السؤال عن تفصيلات النظام الذي
يدعو إليه إنما هي محاولة لإحراجهم ؟! إن إنسان القرن العشرين،
الذكي، المثق، الذي يسأل، ويستقصي، ويطلب الاقتناع، وهو يتفرغ
لفكرات فكرية عالمية ومحلية متباينة، عن طريق تطور وسائل التعليم
والإتصال، إنما صار سؤاله عن تفاصيل الدعوات المطروحة عليه
حقاً طبيعياً ومشروعاً له .. لا سيما أن الإذعان الأعمى لم يعد اليوم
هو قصارى ما تطالب به الدعوات الدينية وغير الدينية .. وإذا
يعتبر سيد قطب أن مثل هذا السؤال « سخرية هازلة يجب أن
يرتفع عليها كل ذي قلب يحسن لهذا الدين بجرمة » ؟! إن حرمة
الدين الحقيقية إنما تستمد من قدرته على حل قضايا الإنسان
المعاصرة، مقدمة في صورة تفصيلية مقنعة .. وليست حرمة الدين
أمراً مبهماً يقوم على « ترفع » الدعاة عن أداء الواجب واجباتهم
وهو التذلل على صلاحية الدين على حل مشاكل الحياة الماثلة !!
فالدعوة الإسلامية الجاد إنما يجب ألا ينطلق من عقد نفسه
تسوك له أن يطن أن السؤال المشروع الذي يوجه إليه « سخرية

هائلة» به .

والحقيقة إن الأخوان المسلمين ، بسبب إغعدام المذهبية ، المتكاملة ،
أما لا يملكون الإجابة على مثل هذا السؤال !! فهم عاجزون ، تماماً عن
إستنباط الصلوات الفاعلية المقننة لمشكلات الحياة المعاصرة من الشريعة
الإسلامية الموروثة . وذلك لأن هذه المشكلات لا تجد حلها في هذه
الشريعة ، وإنما تجد حلها في الشريعة الجديدة التي تقوم على أصول
القرآن والسنة النبوية التي لا يعرفون إليها السبيل . أكثر من ذلك !!
فقد اتخذ الأخوان المسلمون من العجز فضيلة فذهبوا بتبنيوت
قصورهم إلى الإسلام !! يقول الأستاذ سيد قطب عن دعوتهم :
« إن قاعدة الدعوة أن قبول شرع الله وحده ، أيأ كان ، ورفض كل
شرع غيره ، أيأ كان ، هو ذاته الإسلام ، وليس للإسلام مدلول سواه
فمن رغب في الإسلام ابتداء فقد فضل في القضية ، ولم يعد يحتاج
إلى ترغيبه بجمال النظام وأفضليته . فهذه إحدى بديهيات الإيمان »
- " معالم في الطريق " ص ٤٨ -

هذه هي قاعدة دعوة الإخوان المسلمين كما يقدمها سيد قطب !!
ولكن كيف يتم . (قبول شرع الله وحده ورفض كل شرع غيره أيأ كان) ؟
أليس واجب الداعية الإسلامي أن يبين فضيلة شرع الله على غيره
من الشرائع حتى يتم تحبوه ؟! وكيف يرتب الفرد البشري المعاصر في
الإسلام من غير أن يقدم له في مستوى حل مشاكله الماثلة بتفصيل
مقنع ؟! أم كيف ينشأ « الإيمان » في نفس هذا الفرد من غير أن
تبرز له أفضلية الإسلام على غيره من الفلسفات والأديان في
صورة مذهبية متكاملة تتواجه الواقع المعاصر بكل تعقيداته .

ومشاكله؟؟ والاخوان المستسلمون انما يروون ان الاذعان الاعشى
هو مدلول الاسلام «الذى ليست للاسلام مدلول سواء».. فيحكمون،
بذلك، على هذا الذين بالقصور عن اقناع الاضنان المعاصر، الذكى،
العاشر، المتبائل، ولذلك سيبقى السؤال الذى أشار اليه سيد
قطب يواجه الاخوات المسلمات بالوضح شديد: «اين تفصيلات
النظام الذى تدعون اليه؟» وهو سؤال موضوعى، وطبيعى، وجاد،
وليفى «لستخرية هازلة»، ولن يقضى فى الرد عليه الهروب الذى
يلبسونه ثوب المنطق!!

الفصل الثالث

أسلوب العنف عند الاخوات المسلمات مرحلة الجهاد فى الاسلام

لقد جاءت الدعوة الاسلامية فى مكة تركز على الاقناع، وتفتح
العنف، وتحترم الحرية، بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ..
يقول تعالى لنبيه الكريم: «فذكر!! انما انت مذكر، لست عليهم
بمسيطر»، الى آخر هذه الآيات التى قنتها النبى الكريم، على
ما عرف عنه من نزوع طبيعى الى عدم السيطرة، عن السيطرة!!
فلما أساء الناس التصرف فى هذه الحرية الواسعة التى كفلت لهم،
برفضهم دعوة التوحيد، كما يضاف فى مقدمة هذا الكتاب، صودر
من حريةهم التقدير الذى لا يطبقون حسن التصرف فيه.. فكانت
هذه المصادرة بالنسبة للمشركين، وأهل الكتاب، عن طريق

الجهاد.. وكذلك شرع الجهاد.. قال سيب في استعمال العنف قد كان
 بسبب سوء التصرف في ممارسة الحرية المتمثل في الكفر.. قال تعالى:
 «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان
 إلا على الظالمين».. ونزلت آية السيف ناسخة لجميع آيات السماح
 والحرية: «فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتمهم،
 وخذوهم، وأحصوهم، واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وإقاموا
 الصلاة، وآتوا الزكاة، فخلوا سبيلهم، إن الله غفور رحيم».. وهذه
 في حق المشركين.. وقد نزلت في حق أهل الكتاب آية الجزية:
 «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله
 ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب، حتى يعطوا
 الجزية عن يد وهم صاغرون».. «ولا صاغرون» معناها حقيقون
 ذليلون.. وهنا جاء الحديث الشريف: «أمرت أن أقاتل الناس
 حتى يشهدوا الآلهة (لا الله)، وأن محمدًا رسول الله، ويقوموا الصلاة،
 ويؤتوا الزكاة، ويصوموا الشهر، ويحجوا البيت، فإذا فعلوا عزموا
 مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحقها.. وأمرهم إلى الله».. «لا وأمرهم
 إلى الله» تعني أن الناس إنما لا يحملون على العقيدة المستكنة في
 الصدور بالإكراه، وإنما يحملون بالإكراه على الإذعان لسلطان
 المسلمين..

والحكمة من وراء الجهاد في الإسلام إنما هي طرف من الحكمة
 من وراء العذاب - عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة.. قال تعالى في
 الأمر بالجهاد: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخرمهم وينصرهم
 عليهم، ويشتت صدور قوم مؤمنين».. وهي حكمة تعليمية..

فليس العذاب إلا تجربة أليمة تزد النفس إلى الجادة في مقبل حياتها الدنيا، أو الآخرة، وذلك بعد أن تكون قد حولت بسوء العاقبة فعجزت عن تخيلها.. قال تعالى، في حكمة العذاب التليمية: «ما يفعل الله بعذابكم، إن شكرتم، وأمنتهم؟؟ وكان الله شاكراً عليماً..»

ولقد كانت الأمم المكذبة يرسلها إلهها تعذب بالعناصر الطبيعية كالطوفان، والريح، والصواعق، حيث يلاقي سائر أقرانها المكذبين الهلاك الذريع، ذلك بأن تلك الأمم قد كانت من الغلظة، والفظاظة، بحيث لا يفيض تعذيبها إلى الحكمة منه إلا بتلك الصورة الغليظة، الفظة.. ثم لما صار الناس إلى اللطافة ورهافة الحس هوناً ما، فصاروا يرتدعون بأقل من التعذيب بالعناصر الطبيعية المهلكة شرع الجهاد بالسيف، عند البعث الإسلامي الأول، فجعل تعذيب المكذبين بأيدي المؤمنين.. ولقد جاء في ذلك قوله تعالى: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم، ويخزهم، وينصركم عليهم، ويكشف صدورهم قلوبهم المؤمنين..» تأمل!! يعذبهم الله «بأيديكم» هذه كرامة تحصل لأول مرة فيستبدل الله، في تعذيب المكذبين، أيدي المؤمنين بدلاً من العناصر الطبيعية، السماء، التي تحتاج اجتياحاً، وتعميماً.. وهذه في حد ذاتها لطف ورحمة!! السبب الذي استحقوا به هذا اللطف هو، إلى جانب الفضل الإلهي، لطافة طبعهم تسبباً، وبقظة عقولهم.. ولقد قال تعالى في ذلك: «وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو إتنا بعذاب أليم» وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستفرون..» تأمل!! «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»

وهذا محض الفضل، وفيه إشارة لطيفة إلى نقطة عقولهم مما أوجب
التخفيف عليهم، وتحويل تقديبهم من العناصر إلى أيدي إخوانهم
المؤمنين، ثم توجه الإشارة المريحة إلى ذلك في قوله تعالى: «وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون!!»

وفي خط النحول من العذاب بالعناصر الصماء إلى العذاب بسيف
ورماح المؤمنين يحث قوله تعالى من آية شاملة وواضحة: «قل هو
القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم، أو من تحت أرجلكم، أو
يلبسكم شيعةً، ويتخذ بعضكم بأس بعض.. انظر كيف نصرف الآيات
لعلمهم يفقهون!!».. هذه علة العذاب!! «لعلهم يفقهون»..

وكما كان التقدير بآس الطبيعة مرحلة منسجمة.. في تاريخ الدعوات
الدينية فإن التقدير بآس الحرب (الجهاد) نفس المرحلية التي
اقتضتها الظروف التاريخية المحيطة بتطور الفرد البشري من الفلطة
إلى اللطف.. والصكمة من وراء الجهاد بالسيف حكمة تعليمية كما أسلفنا،
فما للكذب، يومئذ، قد احتاج تجربة الحرب والموت، أو الخضوع لوصاية
المؤمنين عن طريق السيف، وهو القاصر الذي لا يعرف مصلحته
الحقيقية.. وكذلك شرع القتال في الإسلام تلطفاً بالمدعوين من
تحتل تبعة باهظة لا يقوون عليها، وهم قصرة، وهي حسن
التصرف في الحرية.. كما شرع في وقت كانت فيه الحرب لا تزال لها
المقدرة على حل كثير من المشاكل.. والحرب - الجهاد بالسيف -
لا يمكن أن تكون أصلاً من أصول الإسلام، وإنما أصل الإسلام
السلام.. ولذلك فقد كان النبي الكريم يقول رجعتنا من الجهاد
الأصغر - الحرب - إلى الجهاد الأكبر - مجاهدة النفس بالرياضات

والغارات.

يسقط أسباب الجهاد اليوم !!

وسبب لجوء الاسلام الى البشيف لانها يخرج من جهتين:

أولهما المقاومة التي لقيها من أصحاب المنغول، ومن وقعوا تحت
تضييلهم، أو تحت إرهابهم، من المستضعفين، وأخراهما استعالة
الاقتناع في وقت لم تكن العقول فيه مستنيرة بأشواق العلم ولا القلوب
فيه سليمة بتوفر أسباب الأمن. فالتأخر لذلك قد كانا في طور
قصور يحتاجون فيه الى وصي رشيد يحملهم على مصلحتهم
بالإكراه. فاما اليوم !! فإن البشرية في جملة أفرادها، قد قطعت
مرحلة كبيرة نحو التنقيح والإستواء، بسبب انتشار وسائل التعليم،
ووسائل الإتصال، وتوفر أسباب الأمن، وبروز كثير من مظاهر حكم
القانون، وذلك بحيث صار أفرادها قادرين على رؤية الحق، وعلى
التمييز الدقيق بينه وبين الباطل، وصارت قوة الحق كافية لاحتاد
التفكير إلى الأحسن من غير حاجة إلى ممارسة العنف، لاسيما وقد
خرج الأفراد من كثير من صور الاستضعاف، والتضييل، والإرهاب
التي وقع فيها أسلافهم على أيدي أصحاب المنغول، وذلك إلى حيث
صاروا أكثر إدراكاً لمصلحتهم الحقيقية، وأكثر استعداداً للتجاوب
مع دعوة الحق.

هذه التحويلات الكبيرة ياتى على الدعاة الاسلاميين واجباتنا
جديدة، تمام الجودة الواهي ان يقدموا الدعوة في صورة مقنعة
ومؤثرة. وذلك بأن يطبقوا ما يدعون إليه على انفسهم قبل
مباشرتهم هذه الدعوة حتى تكون دعوتهم بلسان الحال، وهو

الأخلاق، سابقة للمسات المقال، وذلك تورعاً من نذير هذه الآية :
« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ » كبر مفتاً عند الله أن
تقولوا مالا تفعلون !! » ولذلك فقد آن الأوان أن يرتفع أسلوب الدعوة
الاسلامية من الجهاد للأخريين بالسيف، الذي لا يقتضاه حكم الوقت
الماضي، إلى مستوى جهاد النفس.. وهذا ما سماه النبي بالجهاد الأكبر
وبفضل هذا الجهاد ترتفع إلى مستوى الإقناع، والإسماح، والسلام
الذي تقوم عليه آيات أصول القرآن..

مفهوم الجهاد عند الأخوان المسلمين :

وفي هذا الوقت الذي تهيأت فيه البشرية للتبشير بالاسلام
في مستوى العلى القائم على الإقناع، والإسماح، والسلام، حيث اتجه
الرأى العالمى إلى نبيذ العنف، ولم تعد الحرب لتحل مشكلة من المشاكل،
يجب تنظيم الأخوان المسلمين ليدعوا المسلمين إلى الجهاد !! فها هو
الشيخ حسن البنا، مؤسس الدعوة، يفرد رسالة خاصة بالجهاد،
أسمها « رسالة الجهاد » أورد فيها العديد من النصوص التى تحض
على الجهاد، داعياً إلى إتخاذها أساساً لأسلوب الدعوة الاسلاميه
اليوم، وقد وجه في خاتمة هذه الرسالة هذه الدعوة إلى الأخوان
المسلمين :

« أيها الإخوان : إن الأمة التى تحسن صناعة الموت وتعرف كيف
تموت الموت الشريفة يهب لها الله الحياة العزيرة فى الدنيا، والنهم
الخالد فى الآخرة، وما الوهن الذى أذلنا إلا حب الدنيا، وكراهية الموت،
فاعدوا أنفسكم لعمل عظيم وأحرصوا على الموت توهب لكم الحياة »

صفحة ٦ . مجموعة رسائل حسن البنا ..
والشيخ البنا كثير الحديث عن « صناعة الموت » .. فقد كتب عام
١٩٣٤ (مقالات الجهاد أسماء « صناعة الموت » ، وفي أوج نشاط
الجهاز السري وقوته أعاد البنا نشر نفس المقال بعد أن غير العنوان
ليصبح أكثر غرابة « فن الموت ») ص ١٣٠ من كتاب « حسن البنا
مق .. وكيف .. ولماذا ؟ » للدكتور رفعت السعيد - أخذت من جريدة
« الإخوان المسلمين » عدد ١٦ / ١ / ١٩٤٦ .

هكذا يدعو الشيخ حسن البنا إلى إتقان « صناعة الموت » أو
« فن الموت » في هذا العصر الذي يوجب علينا الإسلام أن نتعلم
« فن السلام » ، وأن نعلمه البشورية التي قضت تاريخها كله محاربة
حتى لم تعد الحرب لتحل مشكلة واحدة من مشاكلها ، وحتى صارت
حاجتها إلى السلام هي حاجة حياة أو موت ..

لقد لبست على الدعاة الإسلاميين ، كالشيخ حسن البنا ، أمر الجهاد
تلك القمصان الصريحة المستفيضة في القرآن ، والحديث الشريف التي
تخضع عليه .. فحقيقت عليهم حكمته ، واتسامه بسمة الموقوتية .. وفي
أصل الدين ، الذي لم تكن الظروف التاريخية ، يومئذ ، ملائمة للتشريع
في مستواه ، كما أسلفنا ، فإن الحياة في سبيل الله أولى بالإنسان من
الموت في سبيل الله .. الحياة في سبيل الله تقتضي مجاهدة النفس ،
التي أسماها النبي الكريم الجهاد الأكبر ، في مقابل جهاد الأعداء الخارجيين
- الجهاد الأصغر - ذلك بأن أعدى الأعداء ، بالنسبة لكل منا ، إنما
هو نفسه - قال النبي الكريم : (إن أعدي أعداك نفسك) التي بين
جنبلك » حتى لقد ذهب بعض العارفين يؤي قوله تعالى (يا أيها الذين

آمنوا فآمنوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدا وافيكم غلظة، وأعلموا
 ان الله مع المتقين..» يان من يلوننا من الكفار، وهم أقربهم إلينا،
 إنا هم نفوسنا.. فالكفار في خارجنا إنا هم آيات آفاق، ويقابلهم
 الكفار في داخلنا - وهم نفوسنا.. «سريهم آياتنا في الآفاق، وفي
 أنفسهم، حتى يتبين لهم انه الحق! أولم يكف بربك انه على كل
 شئ شهيد؟»

هذا، والحياء في سبيل الله أصعب، وبها لا يقاس، من الموت في
 سبيل الله. ذلك بان الحياة في سبيل الله تقتضي التطور، في مفاهيم
 النفس، من النفس الحيوانية إلى النفس الإنسانية.. بترويض النفس،
 واستئناسها، وكبح جماح أهوائها، ومراغمة بدواتها.. وهو عمل
 تربوي جد عسير، وجد طويل.. فدعوة الشيخ حسن البنا إلى اتقان
 «صناعة الموت» إنا هي تنكب عن أهل الدين، في وقت لا يستعد
 فيه الفرد البشري، والمجتمع البشري، لأن يُشرع له في مستوى هذا
 الأهل الذي لم يتزل عنه التشريع، إلى الفرع، في الماضي، إلا بسبب
 حكم الوقت.. فالدعوة إلى الحرص على الموت، كما جاء على لسان الشيخ
 حسن البنا: «وأحرصوا على الموت توهب بكم الحياة»، في هذا العصر،
 إنا هي دعوة إلى التصول عن الواجب الديني المباشر، وهو تسليط
 النفس، وفق المنهاج النبوي في العبادة، وفي المعاشية، وما تقتضيه من
 مجاهدة جادة، وطويلة.. ويلبس هذا التصول عن هذا الواجب
 بطلب الاستشهاد!! مع أن طلب الاستشهاد، مع غياب حكم الوقت
 الذي يقتضيه، إنا هو استجابة لحظ من لحظات النفس، وهو من
 أهوائها، هو اصطناع البطولة، وتصيد السمعة..

ومع أن مفهوم الجهاد، عند الإخوان المسلمين، مستمد، أساساً من مؤسفة الدعوة، الشيخ حسن البنا، إلا أن كتابات الأستاذ سيد قطب هي التي بلورت هذا المفهوم، وركزت عليه، أشد التركيز.. قال في كتابه «معالم في الطريق»: «إن الجهاد ضرورة المدعوة إذا كانت أهدأ منها هي المعلنان. تحرير الإنسان، إعلاناً جاداً يواجه الواقع العملي يوسائل مكافئة له في كل جوانبه، ولا يكفي بالبيان الفلسفي النظري!! سواء كان الوطن، الاسلامي - وبالشعب الاسلامي الصحيح: دار الإسلام - آمناً أم مهدداً من جيرانه!!»

هذا ما قاله الأستاذ سيد قطب.. وهي قولة تحتاج إلى قدر كبير من المراجعة.. فتحرير الإنسان في هذا العصر لا يتم عن طريق الجهاد، وإنما يتم عن طريق تقديم الاسلام كعلم نفس، يحرر الانسان من الجهل بحقيقة الوجود، ومن الخوف الموروث، والمكتسب، نتيجة لذلك الجهل.. أكثر من ذلك!! فإن الجهاد كسلوب للدعوة الاسلامية، في هذا العصر، إنما هو مغفوق، أشد المغفوق، لتحرير الانسان - الذي أخذ يشب من طوق الوصاية في شتى صورها.. وما هو «الواقع العملي» الذي يعنيه الأستاذ سيد قطب، وهو يتحدث عن الجهاد كسلوب للدعوة، «بواجهة الواقع العملي» يوسائل مكافئة له في كل جوانبه!!؟ اليس هو الواقع العملي للحياة المعاصرة الذي لم تعد فيه الحرب بقيادة على حل المشاكل، وأصبح قصاراتها أن تشوق المتحاربين إلى تربية المفاوضة لحل مشاكلهم بالتفاوض!!؟ اليس هو الواقع العملي للحياة المعاصرة الذي تطورت فيه أسلحة الحرب تطوراً جعل الجهاد «عملياً» غير ممكن،

الى جانب أنه دينياً غير مطلوب ١٩

وسيد قطب، وهو يرى أن الجهاد ضرورة لا تنفك للدعوة لتحريك
الإنسان، في هذا العصر، لما يلتقى تماماً، ومن غير وعي منه، مع
الماركسيين، الذين يرون أن العنف، والقوة، بشرطان ضروريات
لأحداث أى تغيير اجتماعى أساسى!! هم يلتقى بهم هذا الالتقاء
في أمر العنف وذلك بعد أن خلفت البشرية عهد التغيير بالعنف،
وأخذت تستقبل عهد التغيير الفكرى.. أو «الثورة الفكرية»..

والاستاذ سيد قطب اذ يرى أن الجهاد «ضرورة» للدعوة الإسلامية،
لا ينفك عنها، على الإطلاق، لأنه يرى أن ليست ثمة صورة يقدم
فيها الاسلام الى البشرية المعاصرة سوى صورة الوصاية.. وها هو الشيخ
البناء يقرر ذلك بصورة مباشرة فيقول، بعد أن أورد نصاً من نصوصه

الجهاد: «و معنى هذا أن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء
على البشرية القائمة، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا
لخدمة هذه الوصاية النبيلة.. وإذن فذلك شأننا لا من شأن الغير.
ولمدنية السلام لا لمدنية المادة» - مجموعة رسائل حسن البنا - من
١٤٧ - هذا ما قاله الشيخ حسن البنا، وهو لا يرى للدعوة الإسلامية
من صورة، إلا صورة الوصاية.. أكثر من ذلك!! فإنه يرى أن

المسلمين أولى بأن يكونوا أوصياء على البشرية المعاصرة من الغرب!!
مفترضاً أن هذه البشرية قائمة!! مفترضاً أنها ستدعوا لوصاية
المسلمين، بعد أن تتحرر من وصاية الغرب!! فهل يمكن أن يُقبل
الإنسان المعاصر، بذلك، وتفتح، على دعوة تعلن هذا الرأي الغرب
عنه ٢٠

ثم يتخذ الشيخ البنا عن «مدنية الإسلام» و«مدنية المادة» ،
وهو يخلط بين المدنية والحضارة خطأ واضحاً .. فإن ما عليه الغرب
اليوم من تقدم مادي إنما هو حضارة وليس مدنية .. فالحضارة هي
هذا الارتقاء بوسائل الحياة الحديثة التي أنتجها العلم الحديث ،
والتكنولوجيا ، بينما المدنية هي الالتزام الأخلاقي الذي ينم عن حرية
المفرد الداخلية .. ولذلك فإن عبارة الشيخ البنا: «مدنية المادة» عبارة
تحتاج إلى قدر كبير من المراجعة ..
ومفهوم الجهاد عند الأخوان المسلمين لا يقف عند حد الحرب
لنشر الدعوة الإسلامية ، وإنما هو عبارة عن عملية تحطيم شاملة !!
فقد قال الأستاذ سيد قطب : «وكما أسلفنا فإن الانطلاق بالمذهب
الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ، ونظام المجتمع ،
وأوضاع البيئة ، وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام لتحطيمها
بالقوة !!»

وأعمال العنف التي يسميها الأخوان المسلمون جهاداً في سبيل الله ،
ويسمون الموت فيها استشهاداً ، إنما هي موجّهة أساساً للمسلمين !!
هذا في حين أن الأمر للنبي الكريم بالقتال إنما هو بدماء وأموال ،
الناس إذا ما شهدوا الشهادة ، وأقاموا أركان الإسلام الأخرى .. حتى
ولو كانوا بذلك منافقين !! كما قرر الإسلام ، بصورة لا ليس فيها
ولا غموض ، أنه : «كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ،
وأن يظن به ظن السوء !!» وقد نهى النبي الكريم نهياً قاطعاً ، عن
قتال أي فرد يشهد الشهادة ، حتى ولو كان إنما يشهدا تقية منه
للقتل !! روى أن أحد الأصحاب قال : «يا رسول الله أرايت لو أن

مشركاً قاتلنى ، فضرب يدي ، فقطعها ، ثم لاذ بشجرة ، وقال : « أشهد
 ألا اله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » . أفضله ؟ قال : لا !! قال :
 ولكنه لما قالها ليحى نفسه منى !! فقال : لا تفضله !! فإنك إن تفضله
 تكن في مكانه قبل أن يقولها ، ويكن في مكانك قبل أن تفضله !! . وقال
 النبي الكريم : « إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره
 فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع !! قالوا : يا رسول
 الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا !! ما أقاموا فيكم الصلاة !! » ومن هنا
 تبرز مفارقة الأخوان المسلمين التامة لأحكام الجهاد . فالجهاد إما
 كان موجهاً أساساً لغير المسلمين ، ثم إنه كان لا يقوم على الشرع ،
 واسلوب الإغتيال الذي يمارسه الأخوان المسلمون اليوم . وسنرى
 في الباب الثاني من هذا الكتاب : « الإخوان المسلمون في مجال الممارسة »
 كيف يمارس الأخوان المسلمون أسلوب الاغتيالات الفردية للمسلمين ،
 وكيف اشتركوا في تخطيط ، وتنفيذ الغزو الأجنبي ، والمؤامرات الدموية
 التي راح ضحيتها عشرات المسلمين !!

الأساليب التي تغذى روح العنف عند الأخوان المسلمين

وهكذا يلتقي الأخوان المسلمون ، من حيث لا يشعرون ، في ضرورة
 أسلوب العنف لإحداث أى تغيير أساسى فى المجتمع ، مع الماركسية التي
 يعادونها بغير وعى . وقد ظل العنف هو السمة الملازمة لسلم
 الأخوان المسلمين ، كتنظيم ، وكأفراد ، منذ أن نشأت حركتهم في
 مصر ، في حوالى عام ١٩٢٨ . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب ، منها
 ضعف التوحيد عند أسانذتهم ، مما جعل دعوتهم تقوم على فهم

خالص للجهاد، كما رأينا، ومنها غياب المذهبية الفكرية المحددة، ومنها
إغفال أساليب التربية، والتسليم الديني، والاستعاضة عن كل
أولئك بالحساس العقيدى ..

ثم إن هناك عدة روافد غذت هذا الاتجاه إلى العنف عند الإخوان
المسلمين .. منها، مثلاً، أت أعلى الدين ينتمون إلى تنظيمهم من
الطلاب، ومن الشباب، ممن يفتنون في مرحلة المراهقة، أو ممن
يتأثرون بآثارها، وهم، بذلك، أنما يميلون إلى الإندفاع، والحساس،
ويكونون من الطاقات الجسدية، والعاطفية، مما لا تجد، عند تنظيم
الإخوان المسلمين، المنهاج التربوي الذي يستوعبها، ويهذبها، ويحد
من إندفاعاتها .. بل، على العكس من ذلك تماماً، فهي لا تجد عند
هذا التنظيم، إلا الإثارة التي تغذيها، وتلهبها، وتبرر اتجاهها إلى
الحساس الطائش !! أضفت إلى ذلك الملاحظات التاريخية التي
نمت عند هذا التنظيم روح العنف، ولبسته عليه بمفهوم الجهاد
في البعث الإسلامي الأول .. تلك الملاحظات التي صحبت نشأة
هذا التنظيم في مصر: من المشاركة في بعض الأعمال العسكرية في
حرب فلسطين، وحرب السويس .. ومن الصراع العنيف الذي دار
بينهم وبين الحكومات المختلفة في مصر، وما تعرضوا له من اضطهاد
وتصفية، وما قاموا به من محاولات للوصول إلى السلطة عن طريق
القوة، ومن محاولات لارهاب، أو اغتيال، خصومهم السياسيين ..
ومن العوامل التي تغذي اتجاهات العنف عند الإخوان المسلمين أساليب
التعبير .. فهي أقرب إلى الأحاديث الانشائية الأدبية منها إلى التعبير
العلى الذي تصحبه الصواب الفكرية .. فهم شديداً الاهتمام

بالخطابة ، وبالشعر الحماسي ، مما يند من الفكر الموضوعي ،
ويذكرى الاندفاعات ، والإنفعالات العاطفية .. كما ظل الأخوان
المسلمون ، دائماً ، شديد الاهتمام بتدريب التدريبات العسكرية
والرياضة البدنية ، التي تعد لهم لأعمال العنف .. وهم إنما يتخذون
من أشكال التنظيم ما يمتشي مع روح العسكرية ، عندهم ، فيقسمون
أنفسهم إلى وحدات ، مثل : «الأسرة» ، و : «الكثيبة» .. بل إن لهم
فرقاً عسكرية بحثة مثل : «فرق الجواله» ، و : «الكثائب» ، ولهم
تنظيمات فدائية معدة بالسلاح ، وبالتدريب على استعماله ، كما
أن لهم تنظيماً سرياً كان يسمى عندهم في مصر «بالنظام الخاص»
حيث كانوا يتخذون من الأناشيد الحماسية ما يغذي فيهم روح
العنف ، مثل هذه الأبيات من نشيد «الكثائب» - كما جاء في مجموعة
رسائل حسن البنا :

هو الحق يحشد أجناده ويعتد للثوق الفاصل
قصفو «الكثائب» أساره .. ودكوا به دولة الباطل
تآخت على الله أرواحنا إحد يروع بناء الزمن
ويائت فدى الحق آجالنا بتوجيه «مرشدنا» الموثق
أخا الكفر إما تبعت الهداة فأصبحت فينا الأخ المضد
وإما جهلت فنحن الكماة نقاضى إلى الروع من همدوا
إذا لأذقتك ضعف الحياة وضعف الممات ولن تنجدا !!

والأخوان المسلمون يعتبرون أنفسهم «جنوداً» للدعوة ،
ويسمون دعوتهم غيرهم للاهتمام إليهم «تجنيداً» .. وهكذا فإن

يفهم الدعوة العقيدة البحت، وأشكال التنظيم فيها، والظروف
 التاريخية التي مرت بها، وأسلوب التعبير، والاصطلاح، إلخ، كلها
 جميعاً، تغذى ذلك الاتجاه إلى العنف، والإرهاب، وتتميه.. كما
 يربط الإخوان المسلمون اتجاه العنف عندهم بتصور خاطئ
 للبطولة، مما يزيد إغراء المراهقين بهذا الاتجاه.. وحسب
 «البيعة»، وهي قسم الولاء الذي يؤديه الإخوان المسلمون،
 يصبح الجهاد في سبيل الله هو الجهاد في سبيل دعوتهم!! وقد
 أورد الدكتور رفعت السعيد، نص البيعة، كما يلي: «أعاهد
 الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين
 والجهاد في سبيلها والقيام بشروط عضويتها والثبات الثابتة
 بقيادتها، والسمع والطاعة في المنشط والمكروه، وأقسم بالله
 العظيم على ذلك، وأباعد عليه.. والله على ما أقول وكيل» من
 كتاب «حسن البناء مع.. كيف.. ولماذا؟».. ويزيد من خطر
 هذه البيعة أنها - كما هو واضح من نصها - إنما هي بيعة
 بالولاء لتنظيم الإخوان المسلمين، وليس للإسلام.. وهي
 بيعة غير مشروطة!! فهي لا تنص صراحة على اشتراط الأخذ
 بدعوة الإخوان المسلمين عن مبادئ الإسلام، وذلك مما يجعل
 المبادئ ملتزماً بحرفية هذه البيعة، وإن حادت الدعوة عن مبادئ
 الإسلام، مما يجعله مطيعاً لقائده وإن كانت أوامر وتوجيهات
 هذا القائد مغارقة للدين.. وهذا ما حدث بالفعل كما سنرى في
 هذا الكتاب..

هذا مع أن البيعة في العهد الأول إنما كانت تقوم على الطاعة

في المعروف، وليست على الطاعة المطلقة: «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعينك على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنین، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين بيهتان يفتريانه يجب أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينك في معروف، فبائعهن، واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم».. تأمل !! «ولا يعصينك في معروف !!» هذا حديث يساق للنبي نفسه !! ولقد سار على هذه البيعة أبو بكر حينما ولي أمر المسلمين، فقال: «لقد وليت عليكم، ولست بخيركم. فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني !! أطيعوني ما أطعت الله فإيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم» !!

هذه هي شروط البيعة في الإسلام.. التزام من جانب البيعة على طاعة الله..

وشعار مجلة «الدعوة» التي تصدر الآن، بمصر، إنما يعبر، تماماً، عن روح العنف التي يقوم عليها تنظيم الإخوان المسلمين، ويغذيها، ويهيئها بين أعضائه. فهو عبارة عن صورة «حمراء» للمصحف فوق سيفين مشرعين، تحتها عبارة «وأعدوا» وهي مأخوذة من آية من آيات الجهاد هي «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»..



وهو استخدام خاطئ للآية الكريمة.. إذ هو استغلال للجهاد، بعد إنصراف حكم وقته، في الأغراض السياسية.. بينما تزلت الآية تحض على الإعداد للجهاد

حينما كان للجهاد حكم الوقت، وحيث استخدم أحسن الاستخدام
في سبيل نشر الاسلام..

الفصل الرابع الاخوان المسلمون والديمقراطية ليس في الشريعة ديمقراطية !!

ليس في الشريعة الاسلامية، الموروثة، ديمقراطية، لأن
البشرية في القرن السابع الميلادي لم تكن مستعدة للحكم
الديمقراطي، وإنما كان الحكم الاسلامي، يومئذ، هو حكم الشورى،
وهو حكم الفرد الرشيد الوصي على قوم قصير، والذي قد أمر أن
يستشيرهم لبشرهم بكرامتهم الإنسانية، وليعطيههم فرصة في
مباشرة شئونهم حتى يتعلموا، تحت توجيهه، كيف يحسنون
التصرف فيها، وليأهلوا المرحلة الحكم الديمقراطية، حينما يخرجون
من القصور إلى الرشد!! والشورى ليست ديمقراطية، لأن الوصي
ليس ملزماً بإتباع رأى القاصر، إذا رأى رأياً يخالفه.. فالشورى
مشاورة تملك حق المخالفة، وما هكذا الديمقراطية، فإن الحكم
الديمقراطي يقتضئ الالتزام برأى الأغلبية.. وآية الشورى هي:
«فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنتم كفراً، غليظ القلب، لا تفضوا»
من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا
عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين..» - وقد نزلت آية
الشورى هذه ناسخة لآيتي الديمقراطية حينما أُدِلَّ مسئوس
الفتنة من المسؤولية على الوصاية.. وأبنا الديمقراطية بهما: «فذكر!!

إننا أنته مذكره لست عليهم بمسيطر!! .. أما اليوم، وقد تهيأت
البشرية للحكم الديمقراطي، فقد أتى أن يتطور التشريع من مستوى
الشورى إلى مستوى الديمقراطية، بعد أن خدم حكم الشورى غرضه
- خدمه حتى استنفذه - ولقد كان أمثل أنظمة الحكم في عهده ..
إن جوهر الديمقراطية هو المسئولية الفردية في ممارسة حق
الخطأ .. ولقد كان النبي الكريم، وحده، في الماضي، هو المسئول
مسئولية فردية، فيما يأتى، وما يدع، أمام الله تعالى، بينما كان
سائر الناس على درجة من القصور استوجبت وصاية النبي الكريم
عليهم .. ولذلك فليس في الشريعة، (مستوى عمل الأمة)، ديمقراطية،
وإنما تلتزم الديمقراطية في السُّنة (مستوى عمل النبي) ..

الأخوان المسلمون يدعون إلى حكم الوصاية في عهد الديمقراطية :

يقول الأستاذ سيد قطب « كذلك لم أستسغ حديث من يتحدثون
عن (الاشتراكية الاسلام) و (ديمقراطية الاسلام) » « العدد ١٤٠٧ الاجتماعى
في الاسلام - صفحة ٩٧ » ..

فسيد قطب، بذلك، إننا يرفض أن يكون الإسلام اشتراكياً،
وديمقراطياً !! في هذا العصر الذى أصبحت فيه الاشتراكية، والديمقراطية
جماع تطلعات الشعوب، وجماع حاجاتها .. حتى صارت سائر الفلسفات،
وسائر الأنظمة في العالم اليوم إنما تدعيهما، حتى ولو كان بغضها
لا يعينهما، وقد عجزت جميعها عن تحقيقهما .. وبذلك يجرد الأخوان
المسلمون الإسلام من أخص خصائصه التى ترشحه لحل أزمة

«النظام الاجتماعي» التي تواجهها البشرية المعاصرة وهو العجز عن الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية في جهاز حكمي واحد - وذلك حيث عجزت عن ذلك الفلسفات الاجتماعية، جميعاً.. فكان سيد قطب حينها لم «يستسغ» أن يكون الإسلام ديمقراطياً واشتراكياً، أراد أن يُنزه الإسلام عن نقص يلحقه به بعض المسلمين!! ولعل في ذهنه تلك الصورة الشائثة للديمقراطية، والاشتراكية، التي أخذها عن التطبيق الخاطئ لهما في العالم اليوم.. فدفعته هذه الصورة الشائثة لرفض الديمقراطية والاشتراكية في جوهرهما!! وليست الاشتراكية هي الماركسية.. وإنما الماركسية مدرسة من المدارس الاشتراكية، سبئاًتها أكبر من حسناتها.. وليست الديمقراطية هي ممارسات المسكر العربي في نظام الحكم، فهذه ممارسات سبئاًتها أكبر من حسناتها.. وإنما يأتي الإسلام ليصحح تلك الممارسات، وليحقق الديمقراطية الصحيحة، والاشتراكية الصحيحة.. فإت الإسلام، في أصوله، إنما هو أولى بهما من غيره، فما ينبغي أن ننسب إليهما تزيف التزييف لتجريد الإسلام منهما، وهما من أكبر فضائله..

ولا يرى سيد قطب إلا أن تقوم سياسة الحكم في الإسلام على أساس: «العديل من الحكام، والطاعة من المحكومين، والشورى بين الحاكم والمحكوم» صفحة ١٠١ المصدر السابق - فهو لا يرى نظاماً للحكم في الإسلام سوى الشورى.. وهو نظام الوصاية الذي إقتضاه حكم الوقت المتمثل في قسور الناس في الماضي.. فليس هناك اليوم: رجل، هو من الكمال بحيث يؤتمن على خريات الآخرين فيقام

عليهم وصياً ، وإنما صار ثمن الحرية الفردية هو دواء سهر كل فرد عليها ، وارتقاؤه إلى مستوى حسن التصرف فيها .. وذلك إنما هو مراد الدين بالأصالة حيث نهى الله تعالى نبه ، وهو على ما هو عليه من كمال الأخلاق ، والترفع عن السيطرة على الآخرين - نهاه بقوله : « فذكر ! إنما أنت مذكر » لست عليهم بمسيطر » !!

وكذلك يرى الشيخ حسن البنا صلاحية نظام الشورى لهذا العصر فيقول بالنسبة للحاكم والأمة : « وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها ، وأن يأخذ الصالح من آرائها » !! - مجموعة رسائل حسن البنا صفحة ٣٦١ - فهي دعوة للوصاية في غير وقتها ، ذلك بأن الشعوب قد تهيأت لها أسباب الاستئثار ، وأسباب الأمن ، بدرجة أبرزت شخصيتها ونضجها مما يتقاضى الحاكم « أن يحترم لإرادتها » المتمثلة في إرادة أغلبية مجموعها . وأن يأخذ برأى هذه الأغلبية .. فلا يعطى نفسه الحق في تقدير ما هو صالح من آرائها ، وما هو طالح ، للأخذ بالأول وإطراح الثاني .. وإنما تريد الشعوب ، اليوم ، أن ترى لإرادتها نافذة ، وأن يكون الحكم تجسيداً لهذه الإرادة ، وتنفيذاً لها .. وهذا ، كما أسلفنا ، مراد الدين بهذه الشعوب بالأصالة ..

فالأخوان المسلمون ، بذلك ، إنما لا يرون مرحلة الوصاية في حكم (الشورى) التي استوجبها حكم الوقت في الماضي - حكم الوقت المتمثل في قصور الناس عن ممارسة حقوقهم الديمقراطية في المسئولية الفردية ، والحرية الفردية .. ولذلك يتحدث الشيخ البنا عن « الشورى » كصورة واحدة لنظام الحكم في الإسلام ، في كل العصور ..

قال العشماوي، عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين:

« عند أول عهدى بعضوية مكتب الإرشاد ثار البحث : هل الشورى فى الإسلام ملزمة أم غير ملزمة ؟؟ أى هل ينقيد فضيلة المرشد العام برأى مكتب الإرشاد أو يخالفه إذا شاء ؟؟ وكان رأى الامام الشهيد أن الشورى ليست ملزمة ، وللمرشد أن يأخذ برأى المكتب ، ويجوز له أن يخالفه » - كتاب « حسن البناء - متى - كيف .. ولماذا ؟ »

للدكتور رفعت السعيد - ص ٥١ - نقلاً عن مجلة الدعوة عدد ١٩٥٩/٢/١٤ .

صحيح أن المرشد الدينى ، صاحب الدعوة الدينية ، الذى يدعو الناس إلى الدين ، فيلتف حوله الأتباع ، إنما هو ، فى أى زمان ، وفى أى مكان ، فى وضع الرسمى الرشيد على أتباعه .. ذلك بأنه مصدر التلقى ، والقوى ، فى أمر ترشيدهم ، وتسليلهم ، فلا يعقل أن يكون ملزماً بالأخذ برأى تلاميذه ، وإطراح رأيه ، فى مسألة تنلق بهذا الترشيذ والتسليل .. ولما كان هذا الوقت هو وقت الحكم الديمقراطى ، وليس هو وقت الشورى فى الحكم ، فإن دأب المرشد الدينى ، اليوم ، هو أن يبلغ أتباعه ، عن طريق الترشيذ ، والتسليل ، والتربية ، مبلغ التضج ، والرشد ، الذى يؤهلهم لممارسة حقوقهم الديمقراطية فى الحكم كاملة ، فيرفع عنهم جميع صور الوصاية المرحلية عليهم .. حتى أنه ليخرج نفسه تماماً من بينهم ويبتع ممارسة الحكم الديمقراطى الكامل كلها ويسمى ذلك .. غير أن

الإخوان المسلمين لا يرون هذه المرحلية للوصاية ، وإنما هم يسحبونها على نظام الحكم ، فى هذا الوقت ، الذى استأهلت فيه الشعوب نظام الحكم الديمقراطى .. ومن ثم يتورط الإخوان

المساهمون في التخليط بين الوصاية في أمر الإرشاد الديني، والوصاية في أمر الحكم.. كما يتضح من أقوال الشيخ البنا..
أكثر من ذلك !! فإنهم إنما يتورطون في التخليط بين أحكام الشريعة الإسلامية والانظمة الحديثة للحكم، متغبرين أن يقدموا فكرة محددة لسياسة الحكم.. قال الشيخ البنا: « بهذا الاعتبار يمكن أيضاً أن نقول في طمأنات أن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الاسلام، وليست بعيدة عن الاسلام، ولا غريبة عنه. » مجموعة رسائل حسن البنا صفحة ٣٦٦. هذا ما قاله الشيخ البنا وهو يحاول التوفيق بين أحكام الشريعة الإسلامية « والقواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري » وهريفي، هذا دستور عام ١٩٢٣.

أما بالنسبة للقواعد الأساسية لذلك الدستور، ونحت نفترض هنا أن الشيخ البنا يعني بالقواعد الأساسية الحقوق الأساسية التي نص عليها ذلك الدستور، فقد جاء في المادة الثالثة منه: « المصريون لدى القانون سواء، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة لا تميز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ».. ونصت المادة ١٢ من ذلك الدستور على: « حرية الاعتقاد مطلقة ».. ونصت المادة ١٣ على: « تحمي الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية في الديار المصرية على ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب ».. ونصت المادة ١٤: « حرية الرأي مكفولة، ولكل إنسان الأعراب

عن فكره بالقرن أو الكثرة أو بالتصويب أو بغير ذلك في حدود القانون»..
وتنص المادة ١٥: «المصحافة حرة في حدود القانون. والرقابة على المصحف محظورة
وإبزار المصحف أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور كذلك إلا إذا
كان ذلك ضرورياً لوقاية النظام الاجتماعي»..
وتنص المادة ٢٠: «للمصريين حق الاجتماع في حدود وسكينة غير
حاملين سلاحاً».. وتنص المادة ٢١: «للمصريين حق تكوين الجمعيات،
وكيفية استعمال هذا الحق يبينها القانون»..

لذا كان الشيخ البنا يعنى «بالقواعد الأساسية» للدستور
المصرى هذه الحقوق الأساسية: «المساواة أمام القانون، حرية
الإعتقاد، وحرية الرأي، وحق الاجتماع، وحق تكوين الجمعيات الخ»..
ويعف بقواعد الاسلام «أحكام الشريعة الإسلامية الموروثة»..
فليس في هذه الشريعة حقوق أساسية، لأنها قامت، كما أسلفنا
في مقدمة هذا الكتاب، على الوصاية، بل إن آياتها قد نزلت ناسخة
لآيات الحقوق الأساسية، ومن ثم فليس في هذه الشريعة دستور..
وإنما الحقوق الأساسية (الدستور) في أصول القرآن الكريم التي
نسخها فرع القرآن (الشريعة الموروثة).

ثم إنه لا عبارة بالحقوق الأساسية التي نص عليها دستور ١٩٢٣
المصرى، فهي قد كانت حيراً على ورق.. وتوحيها للديمقراطية،
وتضليلاً للشعب المصرى.. فالمادة الأولى من ذلك الدستور تنص على:
«مصر دولة ذات سيادة، وهي حرة مستقلة ملكها لا يتجزأ ولا يبتل
عن شئ منه وحكومتها ملكية وراثية وشكلها بنابي».. والمادة

٣٣ من ذلك الدستور تقول « الملك هو رئيس الدولة الأعلى وذاته مصونة لا تمس » !! ولا يمكن أن يكون الحكم ديمقراطياً ، ولا الحقوق الأساسية للمواطنين مرعية ، في نظام ملكي مطلق ، يتمتع فيه الملك ببقايا حق الملوك المقدس ، إذ أن : « ذاته مصونة لا تمس » ، وهو الحق الذي عطل حركة الشعوب نحو الحرية ، وأخر مجئ الديمقراطية في العالم .. ثم إن ذلك الدستور ليثناقي ، أشد ثنائياً ، مع أحكام الشريعة الموروثة التي تقوم على الوصاية الرشيدة ، وليس على الحكم المطلق الغاشم ، أو « الملكية الوراثية » .. وأين الإقرار بأن ذات الملك « مصونة لا تمس » من قول أبي بكر غداة توليه الخلافة : « وإن رأيتهم على باطل فسددوني » ؟؟. إن دستور ١٩٢٣ المصري ليثناقي مع أصول القرآن ، كما يثناقي مع الشريعة الإسلامية الموروثة .. وليس رأى الأخوان المسلمين عنه إلا من قبل مخططاتهم السياسية لهالة الحكم من أجل إحقاق السلطة .. وإلا فكيف يجوز لدعاة إسلاميين أن يخاطبوا الملوك بهذه العبارات : « ألب سدة صاحب الجلالة الملكية حامى الدين ونصير الاسلام والمسلمين عليك مصر المفدى » !! كما فعل الأخوان المسلمون - منذ ثوران الدعوة والداعية صفحة ١٥٦ ١٥٩

هذا !! والدستور المصري لسنة ١٩٢٣ إنما كان يعتبر منحة من الملك للشعب .. جاء في كتاب (موجز القانون الدستوري) للدكتور عثمان خليل والدكتور سليمان الطهاوي (الطبعة الثالثة ١٩٥٢-٥١)
صفحة ٢٦٥ - ٢٦٦ ~

(٢) الدستور المصري منحة : وذلك استناداً إلى نصوص، وتصريحاً
رسمية مختلفة رافقت وضع الدستور، وأبدت صراحة، أو ضمناً، فكرة
المنحة هذه .. جاء في ديباجة الدستور : ~

« نحن ملك مصر - بما أننا مازلنا منذ تنبأنا عرش أجدادنا،
وأخذنا على أنفسنا أن نحفظ بالأمانة التي عهد الله بها إلينا، نطلب
الخير دائماً لأننا بكل ما في وسعنا، ونشوق أن نسلك بها السبيل
التي تعلم أنها تقضي إلى سعادتها وارتقاها وتمنعها بما يتمنع به الأم
الحرّة المتديّنة. »

« ولما كان ذلك لا يهتم على الوجه الصحيح إلا إذا كان لها نظام
دستوري كأحدث الأنظمة الدستورية في العالم وأرقاها. »
« وفيما أن تحقيق ذلك كان دائماً من أجل رفائنا ومن أعظم مآثره
إليه عزائنا. »

« أمرنا بما هو آت ... »

كونت " لجنة الثلاثين " لوضع الدستور .. قال السيد يحيى إبراهيم
باشا في جلساتها : « على أنه فيما يتعلق بمصر يجب لأجل تعيين
السلطة التي تنوّل وضع الدستور الرجوع إلى قانوننا العام، وقد جرى
الأمر فيه على أن تصدر القوانين النظامية من ولي الأمر وحده. »
ولعل في طريقة تكوين لجنة الثلاثين وفي كون الدستور قد ترك
بعد هذه اللجنة بين يدي " اللجنة الحكومية " (وهي اللجنة
الاستشارية التشريعية) التي عدلت بعض أحكامه ما يؤيد فكرة
المنحة التي نحن بصدددها ..)

رأى الإخوان المسلمين في حقوق غير المسلمين

أما فيما يتعلق بحقوق غير المسلمين في الدولة التي تحكم بالشريعة الإسلامية الموروثة، والتي يدعو إليها الإخوان المسلمون فيقول الشيخ حسن البنا في «مذكراته» - ص ١٨٤ :

« علم يهدر - الاسلام - دستور المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقائلكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم .. هكذا يمسد الإخوان المسلمون إلى التهمية الذي يبلغ مبلغ التزييف فيما يتعلق بحقوق أهل الكتاب في الشريعة الإسلامية الموروثة التي هي من صلاحيتها وتطبيقها بكل صورها، على مجتمع القرن العشرين، بغير تطور إلى أصول القرآن الكريم .. والشيخ حسن البنا يتحدث هنا عن « دستور » الإسلام .. وهو يعني الشريعة الإسلامية الموروثة، كما قد بينا في مقدمة هذا الكتاب .. وقد أشرنا في هذا الفصل إلى أنه ليس في هذه الشريعة ديمقراطية، وأنها قد قامت على الوصاية، ومن ثم فليس فيها دستور، وإنما الدستور في أصول القرآن، وفي السنة النبوية، بل إن هذه الشريعة، حينما شرعت، فقد نسخت آياتها آيات الحقوق الأساسية، مثل: « وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر » .. والدستور هو القانون الأساسي، وهو إنما

سمى بالقانون الأساسى لأنه يدور ، كله ، حول مركزية الحقوق الأساسية .. ومع هذا التمهيد الذى حاول الشيخ حسن البنا أن يسبقه على حقوق غير المسلمين فى الشريعة الإسلامية الموروثة ذهب ليصنفهم « بالأقليات » .. مما يدل على ما يراه ، فى خيلته ، من التمييز بينهم وبين المسلمين : « الأغلبية » !! وأورد الشيخ البنا آية يستدل بها على ما أسماه : « حماية الأقليات » ، وهو يجب أن يعنى أهل الكتاب ، فإن من سواهم من غير المسلمين إنما يعتبرون محاربين ، وهو قف المسلمين منهزم : إما الدخول فى الإسلام ولأما القتال .. وما يسميه الشيخ البنا : « الحماية » ويستحسنه بالصورة التى ذكرناها عنه ، هو فى حد ذاته ، إهانة فى مفهوم حقوق المواطن فى الوقت الحاضر . وفى الحقيقة إن حكم الآية التى أوردها الشيخ البنا منسوخ بآية الجزية : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .. قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : (وهذه الآية الكريمة أول الأمر يقنل أهل الكتاب ، بعد ما تمهدت أمور المشركين ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، واستقامت جزيرة العرب ، أمر الله رسوله يقنل أهل الكتابية ، اليهود والنصارى » وقال فى تفسير : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » : « أى مات لم يسلموا : « عن يد وهم صاغرون » أى عن قهر لهم وغلبة « وهم صاغرون » أى ذليلون حقيرون مهانون » .. فلماذا لا يجوز لمعاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء منفرة أشقياء .. كما جاء فى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تبدأوا اليهود والنصارى
بالسلام وإذا لقيتهم أحدكم في طريقه فاضطروهم إلى أضييقه». هذا
ما قاله ابن كثير، وهو ما عليه الأمر في الشريعة.. فالشريعة قد كانت
حكيمة، كل الحكمة، وعادلة كل العدل، في فرض الجزية على أهل
الكتاب، وفي التضييق عليهم بذلك الصورة.. فقد أرادت، بكل أولئك،
أن تحملهم على مصلحتهم بالأكراه، حتى يحفزهم الشهير ضدّهم إلى
الدخول في الإسلام فيستقلوا من حالة دفع الجزية، وهي حالة مهابة،
إلى حالة دفع الزكاة، حيث وجدت، وهي حالة كرامة.. ذلك أن مال
الزكاة عبادة، ومال الجزية عقوبة.. ثم إن أهل الكتاب حين يعيشون
في المجتمع الإسلامي بهذه الصورة إما يعيشون فترة لا تنقل يعرفون
خلالها الإسلام مطبقاً ومعايشاً في حياة المسلمين، فثبرز لهم
فضائله، ونضج لهم أوجه صيحته.. وهم أثناء ذلك ملتزمون
بوعقد الذمة على إعطاء الجزية للمسلمين، وعلى التزام أحكام
الشريعة الإسلامية في المعاملات، والعقوبات، مقابل عدم قتْلهم،
واقامتهم في دار الإسلام على دينهم، ممارسة شعائره،
ويزأجون وفق شريعته.. هذا هو معنى «حماية الأقليات».. حمايتهم
من القتل، وحمايتهم في ممارسة شعائريّهم، ما أعطوا الجزية..
هذا هو وضع أهل الكتاب، اليهود والنصارى، في الشريعة
الإسلامية الموروثة.. فعلى الدعاة الإسلاميين أن يبرزوه في إطاره
التاريخي، الحقيقي، وأن يقدموا مبرراته المرحلية المقتعة.. ثم يجب
أن يقدموا، اليوم، الإسلام في صورة دستور إنسان يقوم على
أصول القرآن التي تقر الحقوق الأساسية للإنسانية، فلا تميز بين

المسلم ولا غير المسلم :-
هذا غير الدعاة الإسلاميين من تزييف الشريعة لإثفاء معارضة
المواطنين غير المسلمين، الذين يعيشون بينهم، وللظهور بمظهر
التقدمية والعصرية الزائفة ..

ويقول محمد قطب، وهو من كبار مفكرى الإخوان المسلمين، فى كتابه
«شبهات حول الإسلام» الصفحة ٣٥ (ولقد كان هذا الكتاب مقررأ
على طلبة المدارس الثانوية العليا فى السودان) :- « فمن أبى الإسلام
وأراد أن يحتفظ بمعتقداته فى ظل النظام الإسلامى - مع إيمان الإسلام
بأنه خير من هذه العقيدة وأقوم سببأ - فله ذلك دون إكراه ولا
ضغطة ، على أن يدفع الجزية مقابل حماية الإسلام له ، بحيث تسقط
الجزية أو ترد إن عجز المسلمون عن حمايته » !! فهو يرى أن الجزية على
غير المسلم فى الشريعة لأنها هى ثمن لحماية المسلمين له !! وهذا مما
يثنأ فى مع حكمة الجزية التمهيدأها ، تماماً !! فالجزية لأنها كانت تسقط
عمن تعجز الدولة الإسلامية عن حمايته بسبب خروجه عن سلطانها
إلى سلطان آخر بحيث لم يصبح من رعاياها .. ولا ترد الجزية
عن أى فترة سابقة فى هذه الحالة ..

ومثل آخر لهذا الاتجاه إلى تمويه حقوق أهل الكتاب فى الشريعة
الإسلامية الموروثة هو ما ذهب إليه الدكتور حسن الترابى ، زعيم
الإخوان المسلمين فى السودان فى محاضرة له بجامعة الخرطوم فى يوم
٧٧/١٩/٢١ (قمتا بالتعليق عليها فى كتابنا « الدكتور الترابى يخرج
عن الشريعة باسم تحكيم الشريعة ») وذلك حينما طوقه بعض
الطلاب المسيحيين من الأقليم الجنوبي للسودان ببعض الأسئلة

حول حقوق غير المسلمين.. فقال: «ليس هناك ما يمنع رجلاً في
جنوب السودان أو في شرقه أو في شماله أن يكون رئيساً لجمهورية
مسلمة، ليس هناك ما يمنعه، ليس الذي يمنعه كونه جنوبياً وإنما الذي
يمنعه كون حزبه يخالف حزب الأغلبية، فإما أن ينضم إلى حزب الأغلبية
أو أن يقنع الأغلبية بالاتضمام إلى حزبه» قال الترابي يرى أن للمسيحي
الحق في أن يكون رئيساً لدولة تحكم بالشريعة الإسلامية الموروثة!!
ثم يستدرك فيشترط أن ينضم إلى حزب الأغلبية بأن يصير مسلماً!!
أو أن يقنع حزب الأغلبية، وهم المسلمون، بالاتضمام إلى حزبه، وهو
المسيحية!! ثم ذهب ليفتي بجواز خروج المسلم عن الإسلام بقوله
: «وأود أن أقول إنه في إطار الدولة الواحدة، والعهد الواحد يجوز
للمسلم كما يجوز للمسيحي أن يبدل دينه إذا لم يخرج على حماية الأمة
وعلى الدولة»!! يفتي الدكتور الترابي بذلك من غير أن يقيم فتواه
على سند من الكتاب الكريم، أو على سند من الحديث الشريف.. هذا
مع أن الرسول الكريم يقول: «من بدل دينه فاقتلوه!!» ويقول: «لا
يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد
إحصان، وقتل نفس بغير نفس!!»

إن أولى بالدعاة الإسلاميين أن يعرفوا للشريعة الإسلامية الموروثة
مراحلها، والأغراض الجليلة التي خدمتها، ومقدريتها، وانفتاحها
على التطور بدلاً من هذه المحاولات القاصرة لتحويلها، وتزييفها،
والباسها غير لبوسها.. فليس هناك في هذه الشريعة ما يعيبها حتى
تجرى تلك المحاولات لتحويلها، وتغييبها، فقد كانت بمثابة الفقرة
بالنسية لما ساد البشرية في ذلك الوقت من شرائع وأعراف.. وإنما

العيب هو في محاولة نقلها الى غير وقتها، وإلى غير أمتها لتحل مشاكل جديدة، كل الجدة عليها، لا تنسج لها الا شريعة جديدة عمدتها آيات اصول القرآن، وسنة النبي الكريم .. العيب في العقول التي تتحدث عن الشريعة، وليس العيب في الشريعة !!

الفصل الخامس الاخوان المسلمون والاشتراكية

ليس في الشريعة اشتراكية !!

الحقوق الأساسية هي حق الحياة، وحق الحرية.. ففي حين أن حق الحرية يتمثل في الديمقراطية، فإن حق الحياة يتمثل في الاشتراكية. والديمقراطية والاشتراكية صنوان، لا انفصام لهما، إذ لا يقوم المجتمع الصالح الا عليهما، معاً، وفي وقت واحد.. والاشتراكية تعف، فيما تعني، أن يكون الناس شركاء في خبرات الأرض على قاعدة الحقوق لكل الناس، وليس على قاعدة الحق للبعض، والصدقة للبعض الآخر.. والتعريف العلمي للاشتراكية أنها النظام الاقتصادي الذي تكون فيه وسائل الإنتاج، ومصادر الإنتاج، مملوكة للأمة، محرومة الملكية على الفرد الواحد، وعلى الشركات، وذلك لتحقيق كفاية الإنتاج، وعدالة توزيع الدخل.. بينما التعريف العلمي للرأسمالية أنها النظام الاقتصادي الذي يملك وسائل الإنتاج، ومصادره، للفرد الواحد، والشركات.. ولقد صارت الاشتراكية ممكنة اليوم نتيجة للصراع الطويل بين المستغلين والمستغلين، ونتيجة لزيادة الانتاج باستخدام الآلة

بعد الثورة الصناعية في أوروبا ... وبذلك فإن النظام الاقتصادي في
الشرعية لم يكن إشتراكياً، وإنما هو صورة ملطفة للرأسمالية،
اقتضتها الضرورة حينما لم يكن العهد عهد الإشتراكية.. وهو
الزكاة ذات المقادير التي تبيع ملكية وسائل الإنتاج للأفراد.. وآبائها
:«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم، وتزكّيهم بها، وصل عليهم،
إن صلاتك سكت لهم..» وهي آية من آيات فروع القرآن. وقد
نسخت آية الإشتراكية التي هي من آيات أصول القرآن: «وسألوا
ماذا ينفقون؟ قل العفو!!» وإتفاق العفو هو إتفاق ما زاد
عن الحاجة الحاضرة.. وقد كانت آية إتفاق العفو فرضاً، ثم
نسخت بآية الزكاة ذات المقادير.. هذا بينما لم يقع النسخ في حق
النبي الكريم الذي كانت سنته تقوم على أصول القرآن.. فقد كانت
زكاته، وعلى طول المدى، هي إتفاق العفو.. ومن سنته أيضاً،
عدم جواز مال الزكاة له ولا لآل بيته، وهو الذي قال: «لا الصدقة
لأوساخ الناس، وهي لا تجوز لمحمد، ولا لآل محمد..» وهذا
أبلغ دلالة على مرحلية تشريع الصدقات الذي اقتضته الضرورة..
واليوم فإن العهد هو عهد الإشتراكية، وهو عهد بعث السنة
النبوية.. حيث يجب أن يقف جميع الناس عن أكل الصدقة،
تأسياً بالسنة النبوية الكريمة.. ومن ثم فلا بد من تلخيص التشريع
في مجال الإقتصاد، من الزكاة الصغرى التي كانت عليها الأمة
(الشرعية)، إلى الزكاة الكبرى التي كانت عليها النبي الكريم (السنة).
غير أن الزكاة الكبرى - إتفاق العفو - إنما يتم تطبيقها الجماعي
عن طريق الإجراءات الإشتراكية التي تحرم ملكية وسائل الإنتاج

على الأفراد ، وتضع حداً أعلى ، وحداً أدنى للدخول ، لا يتفاوتان
تفاوتاً يفرى إلى التطبيقية في المجتمع ، وعلى أن يكون الحد الأدنى
كافياً لصيانة الكرامة البشرية ، ومكفولاً لجميع العاجزين عن
الإنتاج .. والاسلام ، وحده ، دون الفلسفات والأديان ، هو
القادر على تحقيق هذه الاشتراكية ، وذلك لأنه يجعل الرقيب
على المنتج ضمهراً ، ولأنه يجعله راضياً يذهب الفائض من
إنتاجه ، عن حاجته للعاجزين عن الإنتاج .. (فإنه لكي تتم الكفالة
الاجتماعية بالاشتراكية لا بد أن يذهب الفائض من إنتاج و
حاجة المنتجين لسد حاجة العاجزين عن الإنتاج ، وذلك بما
يتوفر عليه الإسلام من منهاج العيادة ، والمعاملة ، الذي تفقّر
إليه الماركسية حينما قطعت صلتها بالغيب ، وجعلت بذلك
القيمة كلها للمادة ، في حين أن في الاسلام القيمة على مستويين : مستوى
مادى ومستوى روحى .. والرغبة في القيمة الروحية مرجحة على الرغبة في
القيمة المادية .. هذا هو أساس التربية في الاسلام ..

النظام الاقتصادي عند الأخوان المسلمين

ولا يملك الاخوان المسلمون سوى أن يقدّموا النظام الرأسمالى
لحل المشكلات الاقتصادية المعاصرة !! يقول الشيخ حسن البنا ،
« وتوجب علينا روح الاسلام في تشريع الاقتصادى أن يبادر
بتنظيم الضرائب الاجتماعية وأولها ضريبة الزكاة .. » - مجموعة
رسائل حسن البنا ص ٤٠٤ .. فنظام الاقتصاد الذى
يراه الاخوان المسلمون ، لحاضر هذه البشرية ، ومستقبلها ، هو

النظام الذي يسيح ملكية وسائل الإنتاج للأفراد، على أن تفرض عليهم
«الضرائب الاجتماعية وأولها ضريبة الزكاة»..! هذا بينما الوقت
قد جاء للتأسي بالسنة، في أن يفرض الناس عن مال الصدقة، ليكون
لكل مواطن، في خيرات بلاده، حق مكفول بالقوانين التي تنظم
الدخول.. فعبارة الشيخ حسن البنا عن أن «روح الاسلام» توجب
علينا فرض الزكاة - وهو يعني الزكاة ذات المقادير - إنما يفوزها
التفريق الدقيق بين زكاة النبي الكريم (السنة)، وهي «روح الاسلام»
وبين زكاة الأمة (الشريعة) وهي الطرف من (الاسلام) الذي تنزل
إلى حكم الوقت في الماضي - ذلك بأنه «روح الاسلام» إنما تلتبس
في عمل النبي الكريم لا في عمل الأمة - تلتبس في أصول القرآن لا
في فروعها..

ويحدث الشيخ حسن البنا عن أن الزكاة ضريبة وبعد هاتين
«الضرائب الاجتماعية» التي تفرضها الحكومات «العامة» على
مواطنيها بقوانين، مع أن الزكاة ركن تعبدى يعتبر مستطعها
الذى يمتنع عن إثباتها، في الشريعة، مرتداً، وخارجاً على سلطان
الدولة الإسلامية، ومن ثم كان يجب على خليفة المسلمين قتاله،
وهكذا فعل أبو بكر الصديق فيما عرف في التاريخ الإسلامى بحرب
الردة.. ثم إن الضريبة اليوم إنما تفرض على المواطنين، بغیر
تمييز بينهم بسبب العقيدة.. بينما لا تفرض الزكاة، في الشريعة،
إلا على المسلمين، أما أهل الكتاب فعليهم الجزية..
وعلى أي حال فالدعوة الإسلامية الصحيحة اليوم إنما يجب
أن تكون إلى «الاشتراكية» استلهاماً من السنة النبوية، حيث

تقتضى هذه السنة اليوم كفاية حاجة الفرد بحيث تحرم عليه ملكية وسائل الإنتاج ، وبحيث لا يفوق دخله الحد الأدنى من الدخول بأضعاف مضاعفة تؤدي إلى التهميش الطبقي .. وعلى هذا الأساس من العدالة الاجتماعية تخطط الدخول ، بحيث لا يقوم النظام الضرائبي الذي يعتبر سمة من سمات النظام الرأسمالي .

الملكية الفردية ليست من الفطرة البشرية

والأخوات المسلمون إنما يعتقدون أن قاعدة النظام الاقتصادي في الاسلام ، في الماضي والمستقبل ، هي حق الملكية الفردية - وبالطبع فانهم لا يرون مرحلة تشريع الزكاة الذي كان يعطى حق الملكية الفردية لوسائل الإنتاج - ولذلك فإنهم يرفضون عن الملكية الفردية غير المحدودة ، وعن حق تملكها بالسبل المشروعة . فالأستاذ سيد قطب يقول : « يقرر الإسلام حق الملكية الفردية للمال - برؤسائل التملك المشروعة التي سيرد بيانها بعد قليل - ويجعلها قاعدة نظام ، ويرتب على هذا التقرير نتائجها الطبيعية في حفظ هذا الحق لصاحبه وصيانته له » ثم يفتي حتى يقول : « لا شبهة في تشريع هذا الحق الراضع الصريح في الاسلام ، ولا شبهة كذلك في أنه قاعدة الحياة الإسلامية وقاعدة الاقتصاد الاسلامي » - كتاب « العدالة الاجتماعية في الاسلام - صفحة ١١١ » - ويحدد الأستاذ سيد قطب عشرة من مبادئ التملك الفردي ، ومنها « ملكية السلب » - على حد تعبيره - وإذ يقول « سابقاً - الفوز وينشأ عنه ملكية السلب وهو كل ما مع

الفئيل المشترك الذي يفثله مسلم» صفحة ١٢٤ - والعيب ليس
أن هذا مصدر من مصادر التملك في ماضى التشريع، وإنما العيب
هو الأثر المفكرونة الاسلاميون مرحلة الجهاد فنقوم دعوتهم
عليه بشل هذه الصودة في هذا العصر!!

ويقوم الدفاع عن الملكية الفردية، عند الأخوان المسلمين، على
أساس أن حب التملك غريزة، وأنه إنما يتمشى مع الفطرة. وقد
ذلك يقول الأستاذ سيد قطب: «ونفترض الملكية الفردية
يحقق العدالة بين الجهد والجزاء، فوق مسايرته للفطرة، وثاقفه
مع الميول الأصلية في النفس البشرية» المصدر السابق صفحة ١١٢.
والقول بأن الملكية الفردية غريزة، وإنما إنما تسائر القطرة
إنها هو دينياً، خاطئ.. فالغريزة الأساسية هي «الحياة» وبسبب
الخوف الذى احتوش الحياة منذ بدايتها - الخوف من الجوع،
والخوف من الموت جوعاً - إلتهوت غريزة الحياة في التعبير عن
نفسها، فانجهت إلى إقامة الحوائل بينها وبين الجوع، ومن
ههنا نشأت الملكية الفردية.. فهي ليست غريزة، وإنما هي
صورة لإلواء الغريزة.. ولو كانت الملكية الفردية غريزة تسائر
القطرة، لكانت أولى بأن تكون سنة النبى الكريم، وهو صاحب
القطرة السورية.. فهو لم يكن يهلك ما يريد عن حاجته الحاضرة،
وإنما كان يصرف عنه كل ما زاد عن حاجته الحاضرة للحظنة!!

ويدافع الأخوان المسلمون عن التقاوت في الأرزاق، ويعتبرونه
الصورة المثلى للعدل التى يرضى عنها الاسلام.. يقول الأستاذ سيد
قطب: «لا يفرض الإسلام إلا المساواة الحرفية في المال لأن تحميل

المال تابع لاستعداداته ليست متساوية ، فالعدل المطلق يقتضي أن
 تتفاوت الأرزاق ، وأن يفضل بعض الناس بعضاً فيها « - المصدر
 السابق صفحة ٣٢ . هذا هو رأى سيد قطب .. وهو رأى خاطئ ، وإنما
 في آن معاً .. وهما كما كان خاطئاً وضاراً لأنه ضد التوحيد وضد تكافل
 المجتمع - ضد التوحيد وضد الاشتراكية .. ففي الدين إن هذا
 التفاوت الظاهر الذي نبنت عليه الدخول المتفاوتة ، إنما هو نفسه
 امتحان لنا ، لينظر ربنا إلى عملنا في دخلنا الزائد ، هل تعلم أنه رزق
 الآخرين الذين حرموا من المواهب الظاهرة في كسب المال ، لنوصله إليهم ،
 ويكون على ذلك من الشاكرين لله ، على اختصاصه لنا بأن جعلنا
 سبيلاً لإجراء أرزاق عباده على أيدينا ، ثم على أن وقفنا في امتحان
 لنا فعلنا أن الزائد عن حاجتنا من دخلنا ليس هو ملكنا ، وإنما هو
 ملك من يحتاجونه في اللحظة الحاضرة ، ثم على أن قد قدرنا
 على أنفسنا فلم يقعد بنا الشئ عن أن نوصل الحق لأصحاب الحق ؟
 والادخار إنما هو نقص في قولنا « لا إله إلا الله » ، وهو
 استجابة للخوف الذي أملأ علينا سوء الفطن بالله : « الشيطان يعدكم
 الفقر ، ويأمركم بالفحشاء .. والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً .. »
 والله واسع عليهم يؤق الحكمة من هتاء ، ومن يؤت الحكمة فقد
 أوتي خيراً كثيراً .. وما يذكر إلا أولو الألباب » و « الفحشاء »
 هنا تعني البخل .. وإنما عن البخل جاء الإدخار ، وجاء حب التملك ،
 وهو من خوف الفقر .. و « الحكمة » المشار إليها هنا هي معرفة
 أسرار الدين في أمر المال ، وأمر الملكية .. ولا عبوة هنا بالأمر الشرعي
 وذلك حين قال : « ولا تجعل يدك مقلولة إلى عنقك ، ولا

تيسطها كل البسط ، فننقعد ملوماً محسوراً..» وهو انما لم يكن به عبرة هنا لأنه انما جاء تجاوباً مع حرصنا، وخوفنا من الانفاق، ومن ترك الادخار.. وهو ليس مراد الدين بالأصالة ، وانما هو تدريج لمتفقنا نحن، وغيره أولى بنا لو كنا نعلم، ولو كنا نستطيع، اذ « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ».. وهذا الأمر جدير به انما ترشدنا اليه هذه الآية: « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكث أيمانهم ، فهم فيه سواء .. أفبنعمة الله يجحدون ؟! » وروح هذه الآية في قوله تعالى: « فهم فيه سواء .. أفبنعمة الله يجحدون ؟! » ففيها إشارة للمساواة ، وفيها توبيخ خفيف ، ولطيف ، على تركنا للمساواة بخلأ، وجحداً ، لا بنعمتنا ، في الحقيقة ، وانما بنعمة الله !!

الفصل السادس

الأخوان المسلمون والمرأة

حقوق المرأة بين الشريعة والدين

لقد جاء الاسلام فوجد المرأة في المجتمع الجاهلي، وهي تسلب حق الحياة.. فتأود حية.. « واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت! » لأنها في نظر ذلك المجتمع مجلبة لعار السبي، ولذلك الاملاق، ولذلك كانت توهب، وتباع، وتسبي، وتسلك في عداد الرقيق.. كما جاء الاسلام فوجد العرق الاجتماعي الموروث، والسائد، هو ان يفرض الرجل على المرأة وصاية غاشمة، لاحق،

من حقوق الحياة، والحرية، لها فيها.. والمرأة وهي تنوء بموروث
قديم من مظاهر هو انهما، ومنعها، أصبحت ناقصة العقل لقلة
تجربتها الحياتية، ضعيفة الشخصية لما ترسب فيها من عقد
النفس..

ومن ثم، فقد اتخذ الاسلام أسلوب التدريج في النهوض بالمرأة،
أخذاً في الاعتبار مقدرتها، هي، على التطور، ثم مقدرة المجتمع على
استيعاب تطورها.. وقد كان ذلك التدريج نفسه بمثابة الطفرة،
قياساً بوضع المرأة في المجتمع العربي الجاهلي، أو في المجتمع
الدول، يومئذ، فجعلت الشريعة الاسلامية المرأة على الرئع من
الرجل في الزواج، وعلى النصف منه في الشهادة، وفي الميراث، وأعطته
حق الطلاق، وسائر حقوق الوصاية عليها.. وآية الشريعة التي تقوم
عليها هذه الوصاية هي: «الرجال قوامون على النساء، بما فضل
الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحات
قانتات، حافظات للخصية، بما حفظ الله، واللاتي تخافون نشوزهن،
فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن.. فإن أطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلاً.. إن الله كان علياً كبيراً..» وواضح أن
المفاضلة بين الرجل والمرأة إنما كانت قائمة على اعتبارات تاريخية:
فالرجل إنما كان يمتاز على المرأة في مجتمع الغابة، الذي وجدها
فيه الإسلام، بالمقدرات الجسدية، التي أتاحت له فرص حماية
المرأة، والنفقة عليها.. فإذا تحول المجتمع إلى المدينة، سقطت
أسباب تلك القوامية بتحول الفضائل من القيمة الجسدية إلى
القيمة الفكرية والخلقية، وبحوالة الحماية على القانون، والنفقة

على الكفالة الاجتماعية ، في النظام الاشتراكي ..
وأية المساواة بين الرجال والنساء ، في الحقوق والواجبات ، هي :
« ولهن مثل الذي عليهن ، بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة .. » ..
فإذا سويت واجبات المرأة واجبات الرجل ، وجب أن تساوى حقوقها
حقوقه .. ولما تستمد المساواة بين الرجال والنساء أمام القانون
من مبدأ المساواة بينهما في المسؤولية الفردية أمام الله : « ولا تزر
وازرة وزر أخرى » .. و « كل نفس بما كسبت رهينة » .. ففرضت
الدين الأساسى أن تكون المرأة مسئولة ، مسئولة فردية كاملة ،
أمام المجتمع ، كما هي ، كذلك ، أمام الله تعالى .. وما حال بينها وبين
ممارسة هذه المسؤولية أمام المجتمع في الماضى إلا الملبسات
التاريخية التى حملتها على درية من القصور استوجبت وصاية
الرجل عليها .. وتزوال تلك الملبسات ، التى أشرنا إليها فى هذا
الفصل ، يعود وضع المرأة إلى حين مراد الدين بها من تمام المساواة ،
في الحقوق والواجبات ، مع الرجل ..

واليوم قد صار من المعروف غير المنكر أن تؤدى المرأة ، فى الحياة
العامة ، نفس الواجبات التى يؤدىها الرجل .. وسيجئ الإسلام بم
يجئ عاجلاً من جديد ، ليجعل واجباتها الأساسى ، وهو الأمومة ،
أكبر من سائر الواجبات التى يؤدىها الرجل ، وذلك مما يزيد فى
حقها ، لأن به مزيداً من عرفان واجبتها .. والإسلام ، حينما يجئ
إنما يجئ لبوجه هذا العرف الذى يتجه نحو تحقيق كرامة المرأة ،
فبجنبه مثالبه ، ويشامى به إلى مراد الدين الأساسى بالمرأة من أن
تكون مسئولة ، قيمة بأمر نفسها ، بمنفعة ، طيبة السيرة .. وذلك

عن طريق التربية على المنتهاج النبوي ، في المقام الأول ، وعن طريق
تشريع المسؤولية ، والحرية ، في المقام الثاني .. إن مراد الدين ،
بالأصالة ، هو المساواة التامة بين الرجال والنساء في الحقوق
والواجبات ، وهذا لا يتحقق إلا بتطوير الشريعة الإسلامية من آية
القوامة إلى آية المساواة ..

الاختلاط بين الشريعة والدين

ومن صور قوامة الرجال على النساء في الشريعة الحجاب ، ومنع
النساء من الاختلاط بالرجال .. ومن آيات الحجاب : « وقرن في بيوتكن ،
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ومنها : « وإذا سألنكم مما نعما ،
فأسألوهن من وراء حجاب » .. ذلك بأن النساء ، يومئذ ، لم يكن
في مستوى النهوض بمسؤولية الاختلاط والسفور .. ولذلك لم تعط
الشريعة المرأة حقها كاملاً في مسئوليتها عن عفة نفسها ، وإنما
جعلت هذا الحق للرجل ، فصار عليه أن يضرب الحجاب على من يقوم
بولايتهن من النساء ..

والحجاب في الشريعة الموروثة صورتان : الحجاب بالبيت ، والحجاب
بالشرب . أما الحجاب بالقرار في البيت : « وقرن في بيوتكن » فهو
القاعدة في تلك الشريعة .. وأما الحجاب بلبس الثوب عند خروج
المرأة لكسب عيشها ، حيث لا يكون لها عائل من الرجال ، فهو استثناء
من تلك القاعدة إقتضته الضرورة في تلك الشريعة .. ولدى هذه
الضرورة كان يباح للمرأة السفور ، وهو الكشف عن وجهها ، و
يديها ، ولا يباح لها التبرج (وهو إبراز المقائن ، والظهور بالمظهر

الخليع) - كما يباح لها الاختلاط بالرجال، ولا تباح لها الخلوة (وهي
إختلاء المرأة بالرجل الأجنبي بحيث يأمنان الأبطال عليهما أهد من الناس)
والضرورة، في الشريعة الموروثة، التي تبسح للمرأة السفر، والاختلاط
إنما هي صورة لإتفاح هذه الشريعة على التطور.. ذلك بأن النساء،
اليوم، قد خرجن، سافرات، مختلطات، في كل مجالات الحياة،
لضرورات العرف الذي يسير في اتجاه غرض الدين - كخروج المرأة
للتعليم، وللعمل - العمل من أجل كسب عيشها، ومن أجل نصنع
شخصيتها بزيادة تجربتها..

ويجوز البعث الاسلامي، اليوم، ليرشد هذا العرف عن طريق
التربية، وعن طريق القانون.. فحقاً أولاً، إنما يربى المرأة على المنهاج
النبوي في العبادة، وفي العادة، لتكون عفيفة، صيّنة، مسئولة،
حسنة التصرف في حرية السفر، والاختلاط.. ثم هو، ثانياً، إنما
يجعل القانون هو الوصي عليها، تمارس تحت ظله هذه الحرية، وهي
تتحمل مسؤولية ممارستها، فيصادر منها هذه الحرية إذا أساءت
إستعمالها، بالنرج، أو الخلوة.. فإن النرج والخلوة سيقتلان
ممنوعين في التشريع الإسلامي المطور كما كانا ممنوعين في الشريعة
الاسلامية الماضية، والآية التي توقع بموجبها العقوبة على من
تسعى حرية السفر والاختلاط هي: «واللّٰق يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ مِنْ
نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا!!»
والفاحشة، هنا، كل عمل يعد طرفاً من الزنا، وأن لم يبلغ
مستوى الزنا، وذلك كالنرج والخلوة، فإن عقوبة الزنا ليست

هي كما جاء في هذه الآية من عقوبة ، فإن كانت عقوبة الزنا
 قد جعلت هي السبيل المذكور في هذه الآية الكريمة ..
 هذا والاختلاط التطيق ، المؤدب بأدب الدين ، إنما هو معرض من
 أكبر أغراض الدين ، وحكمته ، في الدين ، إنما تقوم على هذه الأسس :
 (أ) الاختلاط ليس غاية في ذاته ، وإنما الغاية الحرية والحرية
 هي أصل أصول الإسلام ، لأنها حق مقدس للرجال ، والنساء ، على
 السواء .. وللحرية ، كحق ، ثمة ، هو حسن التصرف فيها ، وحكم
 الوقت الراهن يقضى بأن تكون المرأة مساوية للرجل ، تمام المساواة ،
 في المسؤولية الفردية ، ترفع عنها ، كما ترفع عنه ، سائر قيود الوصاية ،
 لتجارس الاختلاط ، ولتصل نتيجة هذه الممارسة الاجتماعية ، وقانونياً ..
 لأوصاية علم الرجل الآ من القانون ، ولا وصاية على المرأة الآ من
 القانون .. والتربية تعينها ، وإنما تكون التربية لكليهما باثبات منتهج
 محدد في العبادة ، وفي العادة - في العبادة وفي المعاملة ..
 (ب) مراد الإسلام الأساسي تحقيق عفة المرأة .. وهذه العفة إنما
 تجيء نتيجة التربية المسددة ، وفق المنهج النبوي .. والعفة لا
 تتحقق ولا تتفجح ، ولا تظهر ، إلا بالاختلاط ، لأن الاختلاط إنما
 يهيئ للمرأة بيئة اجتماعية متكاملة ، فيها تمتحن ممارستها
 الخاصة في العبادة ، وتصحح موازين القيم عندها .. فالعفة الحقيقية
 ليست في الحجاب ، وإنما هي في الاختلاط التطيق الرشيد ..
 (ج) يهيئ الاختلاط أمام المرأة فرصاً واسعة من التجربة والممارسة
 الضرورية لتفجج عقلها .. فإن من أسباب نقصان عقلها ، الذي
 يسببه فرقت عليها وصاية الرجل نقصان تجربتها الحياتية بسبب الحجاب ..

رأى الاخوان المسلمين في الاختلاط

والاخوان المسلمون، وهم لا يدركون مرحلة أحكام الشريعة فيها يتعلّق بحقوق المرأة، إنما هم مقيمون، من الناحية النظرية، على مبدأ قوامة الرجل على المرأة، الذي إقتضاه حكم الوقت في الماضي، والذي يمنع المرأة من ممارسة حق السفر والإختلاط إلا لضرورة ضيقة - هي ضرورة كسب العيش الشريف بالعمل الشريف خارج المنزل.. فالشيخ البنا يرى أنه من ضمن خطوات الإصلاح، اليوم: «منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أى رجل وامرأة لا تخل له جريمة يؤاخذان عليها» ص ١٩٤ «مجموعة رسائل حسن البنا».. فالشيخ البنا يربط ربطاً مباشراً بين الاختلاط والخلوة وكأنهما صنوان مثلاً زمان.. مع أنه، حتى في مستوى الشريعة المرحلي، قد يتم الاختلاط، للضرورة، ولا تقع الخلوة.. والشيخ البنا لم يعط الصورة التي يتم بها تعليم المرأة، الذي لم يقل بمنعه، وإنما قال: «يمنع الاختلاط بين الطلبة والطالبات» !! كيف يمكن أن نثقل الفتاة تعليمها من غير أن نخرج سافرة، مختلطة، في الشارع، والمركبات العامة؟؟ كيف يدعو الشيخ البنا إلى منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات بينما يشجع الاختلاط بين الفتيان والفتيات، في المجتمع المصري الذي عاصره البنا في كل مجالات الحياة؟؟ اللهم، ألا إذا كان البنا يرى أن يضرب الحجاب على المرأة المعاصرة، مرة أخرى، بصورة تامة، وفي ذلك من قلة الإدراك لحكمة الحجاب التي تقتضى موقفيته ما يتناقى مع مراد الدين بالمرأة من الكرامة، ومع تطور المجتمع، وتطور المرأة،

من القصور إلى النضج - كما يتنم في هذا الفصل ..
وبه الشيخ البنات من ضمن خطوات الإصلاح، أيضاً، من
نفس الصفحة ومن نفس المصدر: «لإعادة النظر في مناهج
تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيات
في كثير من مراحل التعليم ..» قال الشيخ البنات لا تلتقي
الفئة، اليوم، نفس التعليم الذي يتلقاه الفتى، وبذلك يرى
الآن يكون لها حق المساواة مع الرجل في التعليم .. ذلك بأبسطه
مادامت المرأة، وبخاصة في المجتمع المصري الذي عاصره البنات،
قد خرجت سافرة، مختلطة، تشارك الرجل في جميع مجالات
الحياة العامة يجب أن يكون التعليم لاعداداً كاملاً لها، وترشداً
شاملاً لها، لتمارس هذه الحياة، وحقاً متساوياً لها مع الرجل،
وهو يمارس نفس الحياة .. ولإعادة النظر في مناهج تعليم البنات
والأولاد، على كل حال، ليس بالأمر الهين، اليسير، الذي يمر عليه
صاحب دعوة إلى الاسلام كالشيخ حسن البنا بهذه البساطة،
وهذا اليسر، فإنه، إنما هو، جوهر دعوة كل داع إلى الاسلام،
وفي الوقت الحاضر بالذات .. ولكن الشيخ البنات لا يرى أن يفصل
دعوته، ورأيه في هذا اوردناه آنفاً، وعلقنا عليه بما يكفي،
وبغنى عن تعقبه هنا .

تقلد المرأة لمناصب الدولة عند الاخوان المسلمين

يقول أبو الأعلى المودودي، الذي يعتبر الاخوان المسلمون
كتاباته من مصادرهم الفكرية الأساسية: «الرجال قوامون

على النساء» .. «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة».. هذات النصان يقطعان بأن المناصب الرئيسية - في الدولة - رئاسة كانت ، أو وزارة ، أو عضوية مجلس الشورى ، أو إدارة مختلف مصالح الحكومة ، لا تقوض إلى النساء .. وبناء على ذلك فيما يخالف النصوص الشرعية إن تنزل النساء تلك المنزلة في دستور الدولة الإسلامية ، أو أن يترك فيه مجال لذلك ، وإرتكاب تلك المخالفة لا يجوز البتة لدولة قد رخصت لنفسها التّعبد بالطاعة (الله ورسوله) - الكتاب المترجم للمحاضرة التي القاها بمراكش في نوفمبر ١٩٥٢ -

تناقضات الأخوان المسلمين وحقوق المرأة :

والأخوان المسلمون إنما ينفقون ، (يقف بعضهم فيهم غير منفقين) ، مع وضع المرأة المرحلي في الشريعة . نظرياً .. بينما هم يخرجون عن هذه الشريعة خروجاً صريحاً في ممارساتهم اليومية . فرجالهم ونسائهم إنما يمارسون الاختلاط بصورة طبيعية في دور العلم ، وفي المكاتب ، وفي المجالات السياسية ، وفي كل مكان !! بل إن الأخوان المسلمين في السودان قد أعطوا المرأة حق التصويت ، وحق الترشيح ، على قدم المساواة مع الرجل ، في الانتخابات قبل ثورة مايو ، وكانوا يقومون بالعمل على كسب صوته في تلك الانتخابات !! هذا بينما وقف ممثل الأخوان المسلمين في الجمعية التأسيسية ، محمد صالح الكارودي ، يطالب بحرمان المرأة من حق الانتخاب !! جاء في جريدة السودان الجديد بتاريخ ١٩٦٧/٩/٧ : «الكارودي

يطالب بحرمات المرأة من حق الانتخاب - محمد صالح الكاروري :
طالب بعدم السماح للمرأة بحق الانتخاب والترشيح وقال: وذلك
حفاظاً عليها لأنها قارورة، والقارورة إذا عرضت للاحتكاك
والمصادمات لا بد أن تنكسر. وقال: إن المرأة يجب أن يكون مكانها
البيت لتتفرغ للأمومة والطفولة ورعاية الأسرة!! ومع ذلك دفع
الأخوان المسلمون، برشحهم، ثريا أمباي، إلى دوائر الخريف
في انتخابات الجمعية التأسيسية، وظلوا يرشحون الأخوات المسلمات
لعضوية اتحاد طلاب جامعة الخرطوم!! واليوم فإن الأخوات
المسلمات عضوات في المجلس الأربعيني لهذا الاتحاد، وعضوات
في اللجنة التنفيذية له!!

وقد قدمت جماعة الأخوان المسلمين امرأة شابة لتخاضر طلبة
معهد المعلمين العالي في بعض شئون المرأة المسلمة عام ١٩٦٥ - تلك
المحاضرة الشهيرة التي تداعت الأحداث على أثرها إلى حل الحزب
الشيوعي - كما سنرى في هذا الكتاب -

هذه صورة لتناقضات الإخوان المسلمين مع الشريعة، ومع العصر،
ولتخبطهم بينهما.. وقد ذهب زعيم الأخوان المسلمين، بالسودان،
الدكتور حسن الترابي، في محاضرة له بجامعة الخرطوم، في ديسمبر
١٩٧٧ ليقول: «للمرأة حرية ألا يكون للرجل قوامة عليها، ذلك إلا
نزوج»!! وبذلك رفع الدكتور الترابي قوامة الرجل على المرأة ما لم
تكن متزوجة!! مما يخالف عموم هذه القوامة في الشريعة.. هذا،
وإن المرء ليأسف أشد الأسف، لما اتجه إليه بعض كتابهم من نظرة
غير إنسانية للمرأة.. لا سيما الأستاذ محمد قطب في كتابه «شبهات

حول الإسلام».. فقد قال، وهو يتحدث عن تأديب الرجل للمرأة في الشريعة: «وهنا شبهة الإهانة لكبرياء المرأة، والفظاظة في معاملتها، ولكن ينبغي أن نذكر من جهة أن السلاح الاحتياطي لا يستعمل إلا حين تخفق كل الوسائل السلمية الأخرى. ومن جهة ثانية أن هناك حالات إنحراف سيكولوجي لا تجدى معه إلا هذه الوسيلة. وعلم النفس يقرر ألا تخفق الوسائل السابقة مع شخص إلا أن يكون في الغالب - مصاباً بانحراف جنسي - سيكولوجي يطلقون عليه لاسم «الماسوشيزم» فلا يطيق مزاجه ولا يعتدل إلا بعد تلقى معاملة قاسية حسية ومعنوية!! وإن هذا اللون من الانحراف أكثر حدوثاً في النساء منه في الرجال (إذ يصابون أكثر بانحراف «الساوية») وهو إلا لئلاز بإحداث القسوة»!! ص ١٣٦ - ثم يضيف الأستاذ محمد قطب ليقول، في هذا الكتاب، حول تعدد الزوجات: «وهناك حالات فردية معروفة لدى الفقهاء، يكون تعدد الزوجات فيها ضرورة، منها الطاقة الجنسية الشاذة التي لا تكفي بواحدة ولا يمكن لصاحبها الصبر عليها»!! ونحن نترك هذه الآراء الغريبة لأحد كبار مفكرى الأخوان المسلمين، من غير تعليق، فهي كافية لنحدث عن نفسها!!

الفصل السابع الإتصاف عن التربية عند الأخوات المسلمين

خصائص الداعية الاسلامي

إن على الداعية الاسلامي، المرشد، الذي يدعوا إلى العيش الاسلامي، ويربى، ويرشد، تلاميذه ليكونوا دعاة إلى هذا البعث، أن عليه لأن يكون على نسق عال من التأسي بالسنة النبوية، بحيث يكون محباً لها بعد إندثارها، فيكون له بذلك قدم عال في العبودية، يتحقق له «بالاسلام» - وهو، في سببائه العليا، الاستسلام الراضى بالإرادة الإلهية، من غير اعتراض عليها، لا في السر، ولا في العلن -، فينتزع هذا «الاسلام» على أخلاقه ليكون عزوفاً عن شهوة السيطرة على الآخرين، عزوفاً عن شهوة التملك - فهو لا يسعى إلى السلطان، ولا ينخضع، ويتملق السلاطين، وهو على معيشة الكفاف التي يقتنع فيها بسد حاجته الماثلة - ثم تنكس هذه الحرية الداخلية على فكره صفاء، وعلى قلبه سلاماً، فينقذ، بفضل الله، ثم بفضل كل أولئك، إلى معرفة حقائق الدين، فيستنبط منها من الحلول لمشاكل الحياة المعاصرة، عن وعى عميق بهذه المشاكل، ما يبرز فميلة الاسلام على سائر الأديان، وعلى سائر الفلسفات - وذلك في صورة «فكرة» مثاملة، مضبوغة بصيغة التوحيد التي تتحلّى بها نفس الداعية المرشد - ثم هو كلف بتربيته أتباعه على منهاج السنة النبوية هذا، في العبادة، وفي العادة، بوعى شديد، ويتجويد دقيق - وهو المنهاج الذي يوسع خريائهم، ويبرز شخصياتهم، ويفجر طاقاتهم - فيعمل الأتباع على تطبيق منهاج السنة النبوية، في

أنفسهم، قبل مباشرتهم الدعوة إليه، وذلك حتى يفهموا الحجة على صدق دعوتهم بلسان الحال قيل لسان المقال، فإذا استقامت نفوسهم على الجادة آذنت لهم في دعوة الناس، ثم هم في هذا الصدر من سعة الصدر بحيث لا ينكرون على الآخرين حقهم في الرأي، ومن حلاوة الشمائل بحيث يألفون، ويؤلفون حتى من الذين يخالفونهم في الرأي!!

هذا ما نرى أن تكون عليه صفات الداعية الراشد، والداعية السالك.. وهو ما نلتزمه، نحن الجمهوريين، في الدعوة الإسلامية الجديدة!!

الآخوان المسلمون والانصراف عن التربية

ونقصد التربية، والتشديد، في تنظيم الإخوان المسلمين، إنما مره إلى غلبة روح التنظيم على العمل التربوي.. وذلك بأن حركة الإخوان المسلمين قد نشأت على أساس المواجهات السياسية، والمصادمات الدموية، والنصفيات الجسدية، فصار الاهتمام عندهم يولي بما يقوم به عضو التنظيم من عمل خارجي في اتجاه العنق، أكثر من العناية بالتربية الداخلية.. وحتى ما يتلقاه عضو التنظيم من «تربية» إنما يجعله على درجة عالية من المقدرة والحماسة لخدمة أغراض التنظيم «العنيفة»!!

والنظام التي يتلقاها الإخوان المسلمون من مرشد بهم إنما لتعمق فيهم روح الوصاية، والاستعلاء، على كافة الناس ممن لا يتصون تحت لواء تنظيمهم.. فالأخ المسلم، ولو كان عمره في التنظيم

لا يعدو الأيام القليلة ، إنما يوجه ليستثمر بكمال دينه ، وبنفقات دينه الآخزين .. ومن ثم بروح الاستغلاء عليهم .. ويسمى الأستاذ سيد قطب ذلك : « استغلاء الإيمان » ، ويفرد له باباً كاملاً بهذا الاسم في كتابه « معالم في الطريق » .. وهذه التوجيهات إنما لها آثار تربوية سيئة ، وسلبية في نفوس البشر ، والشباب ، بما تذرده في نفوسهم من الاستخفاف بقيمة المجتمع ، والجرأة على الكبار .. وبما تصرف عنه النظر إلى العيوب الذاتية ، وذلك حيث يكون إهتمام الفرد منصباً على عدوه الخارجي !!

وليست مظاهر التعصب ، والتشجيع ، والميل إلى العنف ، والإرهاب ، والآثار ، التي عرف بها الأخوان المسلمون ، في جميع الأوساط ، إلا آثاراً طبيعياً لضيق قيمة التربية في هذا التنظيم .. ونورد هنا أحد توجيهات وإرشادات ، الشيخ حسن البنا إلى الأخوان المسلمين : « نحن أيتها الناس ولا فخر ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملة رايته من بعده ، ورافعو لوائه كما رفعوه ، وناشرو لوائه كما نشروه ، وحافظو قرآنه كما حفظوه ، والمبشرون بدعوته كما بشروا ، ورحمة الله للعالمين . « ولتعلمن نبأه بعد حين » .. أيها الأخوان المسلمون : هذه منزلتكم ، فلا تصغروا من أنفسكم ، فتفيسوا أنفسكم بفكركم !! »

هكذا يضع الشيخ حسن البنا أعضاء تنظيمه في منزلة أي بكر وعمر وعثمان وعلي !! وهو بدلاً من أن يدعوهم إلى النظر إلى داخلهم لإصلاح عيوب السلوك ، يشغلهم بإدعاء مقامات الصحابة ، وبالفصيلة على كل أحد خارج تنظيمهم !!

وعند الأخوان المسلمة السلطة مقدمة على التربية، فهم
 يرون أن تفاصيل الفكرة الإسلامية أمر يجرى الإهتمام به بعد الاستيلاء
 على السلطة، معتمدين في ذلك على فهم خاطئ لهذه القولة الحكيمه:
 «إنا لله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن»، وفانهم أن السلطات
 المعنى، هنا، إنما هو «السلطان» الذي جسّد القرآن، وتأديب بأدبه،
 وتربى بتربيته، وليس مجرد «السلطان» كما يسعون هم لإقامته بكل
 سبيل... وإنما لأن ذلك كذا لأن القرآن العظيم شرفه في
 الصدور بأكثر مما هو في السطور!! قال تعالى: «بل هو آيات بينات
 في صدور الذين أوتوا العلم» وما يحدد بآياتنا إلا الظالمون..»،
 فالسلطان، بهذا الفهم الجلى، يعنى تطبيق الشريعة الجماعية من
 تخلف، وتحقيق، بظاهرها، وباطنها.. وهذا يعنى أن التربية بأديب
 العبادة والمعاملة أساس، وسابقة، على التطبيق الجماعى ..
 والمجتمع المطبقة عليه الشريعة الجماعية وسيلة، ومعين، على التربية
 الفردية.. والعكس غير صحيح تماماً ..

خاتمة الجزء الأول من الكتاب

تناول هذا الجزء الأول من الكتاب تنظيم الإخوان المسلمين من
 حيث «الفكرة» أما الجزء الثانى الذى يعقب هذا، من ناحية التسلسل
 المنهجى، فيتناول تنظيم الإخوان المسلمين من حيث «الممارسة».. فلا
 غنى لقارئنا بأحدهما عن الآخر، لاذ هما متكاملان، مترابطان.. يفضى
 الأول، وهو يطرح الخلفيات الفكرية لهذا التنظيم، إلى الثانى الذى يطرح
 انعكاسات هذه الخلفيات الفكرية على الممارسات العملية لهذا التنظيم، بدء

بنشأة التنظيم في مصر، وانتهاء بمواقفه الراهنة من سلطة (مايو)
في السودان !!

وتحب، هنا، وقد تناولنا «فكرة» الإخوان المسلمين، من حيث أنها
تقوم على الفهم الديني السائد، اليوم، الذي يدعو إلى «تحكيم» الشريعة
الإسلامية الموروثة، بجميع صورها، على حياتنا المعاصرة، بغير تطوير،
أن نظرح الأسس التي تقوم عليها حكمة تطوير التشريع الإسلامي في
الدعوة الإسلامية الجديدة.. داعين الإخوان المسلمين، بخاصة إلى
مراجعة مواقفهم «الفكرية»، و«الخلقية»، بإزائها:

(١) الشريعة، باللغة ما بلغت من السموق والشماسي، إنما هي، في نهاية
المطاف، وسيلة لتحقيق كرامة الإنسان، من ذكر وأنثى. وهذه الكرامة
إنما تتحقق ببلوغ الإنسان مبلغ الحرية، والمسئولية، وبالتشريع له
في هذا المستوى.

(٢) تلتبس حكمة تطوير التشريع، أول ما تلتبس، في التوحيد، فإن كل
ما خلا الذات الإلهية، فهو خاضع لسنة الدثور والتطور، والشريعة
من باب أولى، ذلك بأنها إنما توجه لتنظيم طاقات الإنسان وحاجاته،
وهذه الطاقات والحاجات، إنما هي متجددة تجدد الحياة..

(٣) كمال الشريعة ليس في بقائها جامدة على صورة واحدة بحجة:
«الشريعة صالحة لكل زمان ومكان»، وإنما كمالها في مقدرتها على التطور..
فالشريعة ليست صالحة لكل زمان، ومكان.. وإنما الدين، بما اشتمل
عليه من مستويين للتشريع، مستوى الوصاية، ومستوى المسئولية - كما
بيننا في مقدمة هذا الكتاب - هو الصالح لكل زمان، ومكان..

(٤) البعث الديني، حينما يجرى، إنما يجرى فيجد المجتمع البشري قد

كَوْنُ شَيْءٍ الْأَعْرَافِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا حَيَاتُهُ ، وَالَّتِي لَهَا تَغْفِ الْإِرَادَةُ
الْإِلَهِيَّةُ الْحَقِيقَةُ وَرَاءَ تَكْوِينِهَا ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَعْرَافِ مَا هُوَ حَقٌّ مَشْتَبُهٌ بِالْبَاطِلِ ،
وَمِنْهَا مَا هُوَ حَقٌّ ، إِذَا لَا يَدْخُلُ الْبَاطِلُ الْمَطْلُوقُ فِي الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيُعَدُّ
الْبَعْثُ الدِّينِي إِلَى مَحْوِ مَا هُوَ بَاطِلٌ مِنْ هَذِهِ الْأَعْرَافِ ، وَإِثْبَاتُ مَا هُوَ
حَقٌّ : « وَبِحَوْلِ اللَّهِ الْبَاطِلُ ، وَيُحَقِّقُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ » -

(٥) الْأَصْلُ فِي الْإِسْلَامِ الْحَرِيَّةُ ، وَمَا جَعَلَتْ الْوَصَايَا الرَّشِيدَةُ فِرْعَاءَ مِنْهَا
إِلَّا لِأَنَّهَا رَاضَا إِلَيْهَا تَوَدَّى .. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ نَسْخَ آيَاتِ الْحَرِيَّةِ فِي الْمَاضِي
لَيْسَ نَسْخًا سَرْعَدِيًّا ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجَاءٌ لَهَا حَتَّى تَبْلُغَ الْبَشَرِيَّةُ مَبْلَغَ الْحَرِيَّةِ
فَتُنْبَعَثَ مِنْ جَدِيدٍ ، نَاسِخَةُ الْآيَاتِ الْوَصَايَا ، وَكَذَلِكَ تَعُودُ الْأُمُورُ إِلَى
أَصُولِهَا -

(٦) الْحَرِيَّةُ حَقٌّ يَقَابِلُهُ وَاجِبٌ ، هُوَ حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِيهَا ، وَلَقَدْ كَانَتْ الشَّرِيعَةُ
فِي الْمَاضِي عَادِلَةً ، وَحَكِيمَةً ، حِينَ مَا لَمْ تَقْطَعْ الْقَرْدَ الْبَشَرِيَّ ، بِوَيْدٍ ، مِنَ الْحَرِيَّةِ
أَكْثَرَ مِمَّا يَطْبِيقُ النَّهْوضُ بِوَاجِبِ حَسَنِ التَّصَرُّفِ فِيهِ ، وَمِنْ ثَمَرِ فَلَا يَدُ
مِنْ تَطَوُّرِ الشَّرِيعِ الْيَوْمَ . لِنَا يُعْطَى الْقَرْدَ الْبَشَرِيَّ مِنَ الْحَرِيَّةِ أَقْلَ مِمَّا
يَطْبِيقُ النَّهْوضُ بِوَاجِبِ حَسَنِ التَّصَرُّفِ فِيهِ .. إِذَا : « لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وَاسْعَهَا » ، وَإِذَا « لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا »

(٧) يَشْمَلُ تَطَوُّرُ الشَّرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ أَوْجُهَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَخْضَعُ ، بِصُورَةٍ
أَظْهَرَ ، لِحَرَكَةِ التَّطَوُّرِ ، كَالسِّيَاسَةِ ، وَالْاِقْتِسَادِ ، وَالْاجْتِمَاعِ ، وَلَا يَمَسُّ
تَشْرِيعَ الْحُدُودِ وَالْقَصَاصِ ، وَلَا تَشْرِيعَ الْعِبَادَاتِ ، مَا خِلَا الزَّكَاةِ ذَاتِ
الْمُقَادِيرِ - فَتَشْرِيعُ الْحُدُودِ وَالْقَصَاصِ أَدْخَلَ فِي أَصُولِ الْحَدِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ
لِأَنَّهُ صُورَةٌ لِقَانُونِ الْمَعَاوِضَةِ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَالَّذِي يَقُومُ وَرَاءَ الْعَقِيدَةِ :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ،
كما هو يحقق ، وفي أرقى مستوى ، التوفيق بين حاجة الجماعة إلى
الأمن ، وحاجة الفرد إلى الحرية ، في وقت واحد .

هذه هي أسس فكرة تطوير الشريعة .. وصورة هذا التطوير ، كما بيناها
في مقدمة هذا الكتاب ، إنما هي الانتقال من نص فرعي في القرآن الكريم
إلى نص أصلي فيه .. أو بمعنى آخر جعل شريعة النبي الفردية (سنة)
شريعة جماعية لعامة الناس ..

ونحن نتوجه إلى الأخوان المسلمين ليعيدوا النظر في فكرة البعث
الإسلامي على ضوء هذا الفهم الصحيح ، ذلك بأننا إنما نبغيهم
الخير ، ولا نألج جهداً في توصيله إليهم .. ثم نحن لا نحل إزاءهم
أي ضغن ، مهما بلغوا في معارضتنا مبلغ الشطط ، وكثيراً ما يفعلون
فيخرجون ، في هذه المعارضة ، عما يليق بالدعاة الإسلاميين !!

هذا وإلى الجزء الثاني من الكتاب ، الذي يرمد أبرز مواقف
الأخوان المسلمين في مصر ، وفي السودان ، من حيث أنهم تنظم
كلّف ، أشد الكلف ، بأحرار السلطة ، ويستغل في هذا السبيل
الدعوة إلى الدين ، فينظر ، من حيث لا يشعرون ، في تشويه صورة
الدين ..

والله المستعان ..

الأخوات الجمهوريون

أم درمان ص. ب ١١٥١ تلفون ٥٦٩١٢

الطبعة الأولى ٢٣ أغسطس ١٩٧٨ الموافق ٢٧ رمضان ١٣٩٧